



د/ خضرة إبراهيم علي غبان

التحقيق والبيان في الذنب المنسوب إلى يونس عليه السلام...

Humanities and Educational  
Sciences Journal

ISSN: 2617-5908 (print)



مجلة العلوم التربوية  
والدراسات الإنسانية

ISSN: 2709-0302 (online)

التحقيق والبيان في الذنب المنسوب  
إلى يونس عليه السلام دراسة تفسيرية نقدية\*

د/ خضرة إبراهيم علي حامد غبان  
الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن قسم  
الدراسات الإسلامية جامعة تبوك - المملكة العربية السعودية

[k.ggabban@ut.edu.sa](mailto:k.ggabban@ut.edu.sa)

تاريخ قبوله للنشر 2/1/2023

<http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index>

(\* تاريخ تسليم البحث 7/12/2022

(\* موقع المجلة:



## التحقيق والبيان في الذنب المنسوب إلى يونس عليه السلام دراسة تفسيرية نقدية

د/ خضرة إبراهيم علي حامد غبان  
الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن قسم  
الدراسات الإسلامية جامعة تبوك - المملكة العربية السعودية

### ملخص البحث

تناول هذا البحث: (التحقيق والبيان في الذنب المنسوب إلى يونس عليه السلام، دراسة تفسيرية نقدية): بيان فضل نبي الله يونس - عليه السلام-، وابتلائه وصبره، وعناية الله به وتفريج كربته، وكذا دراسة الروايات الإسرائيلية التي اعتمدها المفسرون في تفسير آيات قصته -عليه السلام-، دراسة نقدية، تبين من خلالها أنها روايات مكذوبة، وتتعارض مع القرآن والسنة، ولا يجوز ذكرها في التفسير إلا لبيان بطلانها وزيفها، كما بيّن البحث المعنى الصحيح للآيات الواردة في شأنه -عليه السلام- بما يتفق مع دلالات ألفاظ القرآن وسياقه، والمتفق عليه في عصمة الأنبياء عليهم السلام، ويبيّن أيضا أن القول الراجح في ماهية الذنب المنسوب إلى يونس عليه السلام: أنه من المبهمات التي لا يفيد العلم بها، ولسنا مكلفين بالبحث عنها، ولا يمكن بحال أن يكون كبيرة؛ لعصمة الأنبياء من الكبائر قبل البعثة وبعدها؛ كما بين البحث أن من الحكمة في ابتلاء يونس -عليه السلام- بهذا الابتلاء العظيم: رفعة قدره ومنزلته عند الله تعالى، وجعله أسوة حسنة لكل الأمم في الصبر والثبات والرضا بقضاء الله وقدره، لينال ثواب ذلك ممدودا إلى يوم القيامة.

الكلمات المفتاحية: (التحقيق - البيان - الذنب - يونس - تفسيرية - نقدية).



## Investigation and Explanation of the Sin Attributed to Yunus, Peace Be Upon Him: A Critical Interpretive Study

**Dr Kadhra Ibrahim Ali Hamid Ghaban**

Assistant Professor of Interpretation and Holy

Quran Studies Islamic Studies Department

Tabouk University, KSA

### **Abstract:**

This study has dealt with the investigation and explanation of the sin attributed to Yunus, peace be upon him, a critical interpretive study. It is an explanation of the virtue of the Prophet of God Yunus - peace be upon him, his affliction and patience, and God's care for him and relieving his anguish, as well as a study of the Israeli narratives that the commentators relied on in interpreting the verses of his story -Peace be upon him-, a critical study, through which it was found that they are false narrations. They contradict the Quran and Sunna, and it is not permissible to mention them in the interpretation except to demonstrate their falsehood and falsity. It is agreed upon in the infallibility of the prophets, peace be upon them.

The study also has shown the correct meaning of the verses mentioned about him - peace be upon him - in accordance with the indications of the words and context of the Quran, as agreed upon in the infallibility of the prophets, peace be upon them. It has also indicated that the most correct saying regarding the nature of the guilt attributed to Yunus, peace be upon him that it is one of the vague ones that science does not benefit with it, and we are not obligated to search for it, and it cannot be in any deadly sin. This is due to the infallibility of the prophets from deadly sins before and after the mission. The study has also showed that the purpose in afflicting Yunus - peace be upon him - with this great affliction is the elevation of his status with God Almighty, and making him a good example for all nations in patience, steadfastness, and contentment with God's will and destiny, so that he may obtain the reward for that extended until the Day of Resurrection.

**Keywords:** Investigation, Statement, Guilt, Yunus, Explanatory, Critical.



### المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان على خير المرسلين ذي الوجه الأنور والجبين الأزهر، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فإن الله تعالى اصطفى من بني آدم رسلاً بمنته عليهم اصطفاء لم ينالوه بعمل أو اجتهاد<sup>(١)</sup>، وجعلهم صورة ومثلاً حياً للكمال البشري لما خلقهم به من صفات الكمال البشري الخَلْقِي والخَلْقِي، وعصمهم من الخطايا وهفوات النفس من قبل النبوة ومن بعدها<sup>(٢)</sup> ليكونوا نوراً يضيئ للناس طريق الهدية ويجنبهم طريق الغواية قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>، فاعتقاد عصمتهم من الذنوب صغيرها وكبيرها من قبل النبوة ومن بعدها، واعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى يعد من كمال الإيمان بهم، ومن كمال الإيمان بصدق كل ما أوحى إليهم.

ولهذا كان من الواجب على المفسر مراعاة ذلك في تأويل الآيات الكريمة التي ذكرت عن بعض الأنبياء - عليهم السلام - اجتهادات لم يقرروا عليها، أو أحداثاً تدل بظاهرها على أنهم أخطأوا، وهم ليسوا كذلك؛ كيوسف عليه السلام، أو عتاباً على ترك الأولى؛ كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

والمتتبع لكلام بعض المفسرين فيما قالوه في تفسير مثل هذه الآيات يجد أنهم أخطأوا في تفسيرها خطأ ظاهراً؛ لقدح هذه التأويلات في عصمة الأنبياء عليهم السلام، ومستندهم فيها: إما روايات إسرائيلية، أو أحاديث ضعيفة، أو تأويلات متعارضة مع سياق الآيات ودلالات ألفاظها، ومع ما صح من السنة النبوية، أو مع ما هو متفق عليه من عصمة الأنبياء عليهم السلام.

ولخطورة هذا الأمر وتعلقه بعقيدة المؤمن عقدت العزم على دراسة الآيات الكريمة التي تحدثت عن قصة يونس عليها السلام دراسة تفسيرية نقدية وأسميت البحث: (التحقيق والبيان في الذنب المنسوب إلى يونس عليه السلام، دراسة تفسيرية نقدية).

### أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: الرغبة في نيل الشرف بخدمة كتاب الله تعالى.

ثانياً: كثرة الروايات الباطلة المذكورة في كتب التفسير عند تفسير الآيات المتعلقة بتفسير قصة يونس - عليه السلام -، واعتماد كثير من المفسرين عليها في تأويل تلك الآيات.

(١) ينظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١/ ١٦٤).

(٢) ينظر: الشفا للقاضي عياض (٢/ ٣٣٥).

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٥.



ثالثاً: تعلق الموضوع بصحة عقيدة المسلم.  
رابعاً: كثرة الإلحاد في زماننا، حتى تعلق بعض الملحدين بمثل هذه التفسيرات بغية في الطعن في عصمة الأنبياء  
لنقض نبوتهم، وإظهارهم في صور العصاة.  
خامساً: عدم وجود دراسة علمية تفسيرية أفردت هذا الموضوع تحديداً بهذه المنهجية في حدود علمي.

### أهداف البحث:

بيان الآتي من خلال الدراسة التفسيرية:  
أولاً: بيان فضل نبي الله يونس عليه السلام، وابتلائه وصبره، وعناية الله به وتفريج كربه.  
ثانياً: دراسة ونقد الروايات الإسرائيلية التي اعتمدها المفسرون في تفسير آيات قصته عليه السلام.  
ثالثاً: بيان المعنى الصحيح للآيات الواردة في شأنه - عليه السلام - بما يتفق مع دلالات ألفاظ القرآن الكريم  
وسياقه، ومع المتفق عليه في عصمة الأنبياء عليهم السلام.  
رابعاً: بيان القول الراجح في ماهية الذنب المنسوب إلى يونس عليه السلام.  
خامساً: بيان الحكمة في ابتلاء يونس عليه السلام بهذا الابتلاء العظيم.

### حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على دراسة الآيات الكريمة الواردة في شأن سيدنا يونس - عليه السلام - دراسة تفسيرية  
نقدية لأقوال المفسرين.

### منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على أربعة من مناهج البحث العلمي:  
أولها: المنهج الاستقرائي في جمع الآيات المتعلقة بالموضوع.  
ثانيها: المنهج التحليلي: لدراسة الآيات دراسة تحليلية تفي بتحقيق هدف البحث.  
ثالثها: المنهج النقدي: لنقد الأقوال وتفنيدها وتمييز الصحيح من غيره من الروايات الباطلة الواردة في قصة يونس  
- عليه السلام -، نقداً موجزاً يفي بتحقيق الهدف المراد.  
رابعها: المنهج الاستنباطي: وذلك في استنباط المعاني التي تليق بنبي الله يونس - عليه السلام - في كل مقام نسب  
إليه فيه ما لا يجوز.  
واقترنت في ذلك كله أثر أئمة التفسير وعلوم القرآن - رحمهم الله -، مهتدية بعلومهم، مستنيرة بأقوالهم.

### الدراسات السابقة:

لم أعر على دراسة تفسيرية تناولت بالدراسة التفسيرية النقدية: التحقيق والبيان في الذنب المنسوب إلى يونس  
عليه السلام، غير أني عثرت على بعض الدراسات العلمية العقيدية التي تناولت ما نسب إليه عليه السلام، ومنها:  
١- عصمة الأنبياء، للإمام الفخر الرازي.  
٢- عصمة الأنبياء في الكتاب والسنة والرد على الشبهات الواردة عليها، رسالة ماجستير للدكتور محمد الخضر  
الناجحي ضيف الله، بجامعة الملك عبد العزيز سنة ١٩٧٧م.



٣- إعلام المسلمين بعصمة النبيين، كتاب منشور للشيخ إسحاق بن عجيل عزوز المكي.

٤- عصمة الأنبياء، كتاب منشور للشيخ محمد كاظم الدليمي.

وقد تناولت هذه الدراسات ما نسب إليه عليه السلام من ناحية عقدية فحسب، وبصورة موجزة.

ويختلف هذا البحث عن تلك الدراسات بأنه:

يتناول بالدراسة التفسيرية بيان فضل نبي الله يونس عليه السلام، وابتلائه وصبره، وعناية الله به وتفريج كربته، ودراسة ونقد الروايات الإسرائيلية التي اعتمدها المفسرون في تفسير آيات قصته عليه السلام، مع بيان المعنى الصحيح لتلك الآيات، وبيان القول الراجح في ماهية الذنب المنسوب إليه عليه السلام، والحكمة في ابتلائه -عليه السلام- بهذا الابتلاء العظيم.

#### خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقسّم إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

**المقدمة:** وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، ومنهج البحث فيه، والدراسات السابقة، وخطته.

**المبحث الأول: يونس عليه السلام في حديث القرآن الكريم.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات الواردة في شأن يونس عليه السلام

المطلب الثاني: الآيات الواردة في فضل يونس عليه السلام وثناء الله عليه.

المطلب الثالث: سياق الآيات الدالة على ابتلاء يونس وصبره عليه السلام.

المطلب الرابع: الآيات الدالة على عناية الله به وتفريج كربته.

المبحث الثاني: تحقيق القول فيما نسب إليه المفسرون من ذنب.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الروايات الواردة في شأن يونس عليه السلام وذنبه الذي أذنب.

المطلب الثاني: نقد الروايات الواردة في شأن ذنب يونس عليه السلام واستدلالات المفسرين بها.

المطلب الثالث: القول الراجح في ماهية الذنب المنسوب إلى يونس عليه السلام.

المطلب الرابع: الحكمة في ابتلاء يونس عليه السلام بهذا الابتلاء العظيم.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

الفهارس: وفيها فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد والمعونة والهداية.

## المبحث الأول

## يونس عليه السلام في حديث القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات الواردة في شأن يونس عليه السلام.

المطلب الثاني: الآيات الواردة في فضل يونس عليه السلام وثناء الله عليه.

المطلب الثالث: سياق الآيات الدالة على ابتلاء يونس وصره عليه السلام.

المطلب الرابع: الآيات الدالة على عناية الله به وتفريج كربته.

## المطلب الأول

## الآيات الواردة في شأن يونس عليه السلام

تحدث القرآن الكريم عن سيدنا يونس -عليه السلام- في ستة مواضع، وها هي مرتبة حسب ورودها في

القرآن الكريم:

## ١-الموضع الأول:

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (١١٣)

## ٢-الموضع الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٢) ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٤) ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ مِمَّن الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٥) ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٦) ﴿ وَمِن آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٨٧) ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٨) ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْنَ بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آفْتَدَهُ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩٠)

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٨٣ - ٩٠.

### ٣- الموضوع الثالث:

في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لِمَآءِ أَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾<sup>(١)</sup>.

### ٤- الموضوع الرابع:

في قوله تعالى: ﴿ وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْنِضًا فظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِجْتَهُ مِنَ الْعَرْصِ وَكَذٰلِكَ نُشٰجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>.

### ٥- الموضوع الخامس:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُوَسُّوْا لِكِنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٦﴾ إِذْ أَتَىٰ إِلَىٰ الْفَلَكِ الْمَشْهُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَمَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴿ فَبَدَّدَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>.

### ٦- الموضوع السادس:

في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحَوْتُ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنَدَّىٰ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾<sup>(٤)</sup>.

## المطلب الثاني

### الآيات الواردة في فضل يونس عليه السلام وثناء الله عليه

بالرغم من قلة الآيات الواردة في شأن نبي الله يونس -عليه السلام- إلا أنها قد تضمنت - بما ليس عليه مزيد - بيان فضله ومكاته عند ربه سبحانه ومنته عليه. ونستطيع أن نجمل ذلك فيما يأتي:

أولاً: الإخبار بأنه من المرسلين: وذلك في قوله: ﴿ وَإِنَّ يُوَسُّوْا لِكِنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>، فله عليه السلام ما للرسول من المزية على الأنبياء؛ على ما ذهب إليه المحققون من أن الرسول هو من أُوحيَ إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبَّله<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة يونس، الآية: ٩٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٨٧ - ٨٨.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٣٩ - ١٤٧.

(٤) سورة القلم، الآيات: ٤٨، ٥٠.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٣٩.

(٦) سورة الصافات، الآية: ١٤٧.

(٧) ينظر: البناية شرح الهداية للعيني (١/ ١١٦)، والتفسير الكبير للرازي (٢٣/ ٢٣٦)، وتفسير الألوسي: (١٦٥/٩).



ثانياً: أنه عليه السلام معدود في جملة من الأنبياء الموحى إليهم: وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَيَعْسَىٰ وَيُؤْتِبَ وَيُؤْتِسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ دَاوُدَ زَبُورًا ۗ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن الجائز أن يكون الله تعالى قد ذكر يونس في الآية بعد ذكر أيوب عليهما السلام؛ لاشتراكهما في أبرز صفة تجمعهما، وهي الصبر والجُلْد في المصائب العظام، وقَدَّمَ أيوب في الذكر لزيادته عليه في الصبر، كما قَدَّمَ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عليهم جميعاً، مع أنه داخل في جملة الأنبياء لأفضليته عليهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام.

ثالثاً: أن الله تعالى أثنى عليه بالتفضيل على العالمين في زمانه<sup>(٢)</sup>، وأثنى عليه بالاجتباء والاصطفاء والهداية: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَانَ قَدَّمْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۗ﴾<sup>(٣)</sup> وَمِنْ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۗ﴾<sup>(٤)</sup>.

رابعاً: أن الله تعالى شهد له بأعظم شهادة وهي: أنه كان من المسبحين المداومين على التسبيح في اليسر، من قبل نزول البلاء به ومن بعد نزوله؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلِئَلَّتْ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ﴾<sup>(٥)</sup>. فكانت معرفته بالله في الرخاء سبباً لنجاته في الشدة.

ومن جملة أعماله الصالحة الثابتة بالسنة الصحيحة حجه بيت الله الحرام، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (... ثُمَّ أَتَى عَلَى ثِيَابِ هَرَشَى، فَقَالَ: (أَيُّ ثِيَابٍ هَذِهِ؟) قَالُوا: ثِيَابُ هَرَشَى. قَالَ: (كَأَيِّ أَنْظُرُ إِلَى يُؤْتِسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةِ حَمْرَاءَ جَعْدَةَ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامٌ نَاقَتِهِ حُلْبَةٌ، وَهُوَ يَلْبَسِي)»<sup>(٦)</sup>.

خامساً: أنه عليه السلام كان مجاب الدعاء؛ حيث إن الله نجاه من الظلمات التي كان فيها من فور إنابته لربه ومناجاته له بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۗ﴾<sup>(٧)</sup> ثم عقب في الآية التي تليها بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، فقال سبحانه: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَبْتَنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾<sup>(٨)</sup>؛ لتدل دلالة فورية على استجابة الله له من فور إنابته من غير تسمية طلب أو إلحاح فيه، كما هو ظاهر من نص الآية.

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٢) يراجع: جامع البيان للظبي (٥١٢/١١)، والمحزر الوجيز لابن عطية (٣١٧/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٥٣/١٣)، وفتح القدير للشوكاني (١٥٦/٢).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٦، ٨٧.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.

(٥) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات: (١/٥٢)، ح (٢٦٨). قال محققه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: (هرشي) جبل قرب الجحفة، (على ناقة حمراء جعدة) أي مكنزة اللحم، (خطام ناقته خلبة) الخطام هو الجبل الذي يقاد به البعير، وخبلة بإسكان اللام وضمها: هو الليف.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.



ومن إكرام الله له أنه تعال جعل دعاءه الذي دعاه عملاً صالحاً يُتقرب به إليه تعال في الكربات، ولا رب أجزه يعود إلى يونس - عليه السلام - أيضاً بالحسنات، كلما دعا به داع ولاذ بالله من المهلكات؛ أخرج الترمذي والحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ<sup>(١)</sup>).

سادساً: أن الله تعال أنزل سورة كاملة في القرآن الكريم باسمه، هي (سورة يونس)؛ بينما لم يكن ذلك لأكثر أنبياء الله تعال، ومنهم موسى وعيسى وهما من أولي العزم من الرسل.

سابعاً: إكرامه بإيمان أمته جميعاً، وكشف العذاب عنهم، ولم يكن ذلك لأحد من المرسلين لا قبله ولا بعده، بدلالة قول الله تعال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَازَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَوَعَدْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ<sup>(٢)</sup>﴾.

وفي وجه هذا الفضل والخصوصية التي اختصه الله تعال بها مع قومه قولان<sup>(٣)</sup>:

الأول: وهو رأي الأكثرين، أن هذه الخصوصية في أنهم آمنوا بعد نزول العذاب بهم، فرفعه الله تعال عنهم، ولم يكن ذلك لأي أمة من الأمم؛ وهذا فرعون لم ينفعه إيمانه حين نزل به عذاب الله وهو الغرق، وعليه يكون الاستثناء متصلاً. الثاني: أن هذه الخصوصية في أنهم آمنوا حين رأوا مقدمات العذاب فقط، فقبل الله إيمانهم ورفع العذاب عنهم قبل أن ينزل بهم؛ وعليه يكون الاستثناء منقطعاً.

وأرى - والله أعلم - أن الخصوصية كانت في رفع العذاب عنهم قبل أن يقع بهم، وأنهم رأوا علاماته فقط؛ لأنه لو كان وقع بهم جزء من العذاب هللكوا أو هلك بعضهم؛ والآية تدل على أنهم جميعاً آمنوا، إذن كانوا جميعاً أحياء، فيكون ما رأوه هو علامات العذاب فقط، ويدل عليه أيضاً قوله تعال: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ<sup>(٤)</sup>﴾؛ حيث إن الكشف يكون لما يقرب، كما يكون لما يقع - كما قال البغوي<sup>(٥)</sup> -، والسياق هنا يدل على أنه كان لما يقرب.

ويكون الفضل والخصوصية في أن الله تعال أكرم يونس - عليه السلام - وقومه بأنهم آمنوا جميعاً ولم يتخلف منهم أحد حين رأوا مقدمات العذاب، وهذه خصوصية لم تكن لني ولا لأمة من الأمم.

وبهذا جمع الله لنبيه يونس - عليه السلام - بين حسنين: الأولى: أنه معدود ممن كُذِّبَ من الأنبياء ولم يؤمن معه أحد؛ حيث إن قومه جميعاً كذبوه أولاً ولم يؤمن منهم أحد؛ فله ما لهؤلاء الأنبياء من جزاء الصبر على فناء عمره في دعوة قومه، وما جزه ذلك عليه من الأذى. والثانية: أن له أجر إيمان قومه جميعاً وإيمان من آمن بإيمانهم، لأنهم جميعاً آمنوا في نهاية الأمر.

(١) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه: في كتاب: أبواب الدعوات، باب: ما جاء في فضل التسبيح والتكبير: ٥٢٩/٥، ح(٣٥٠٥).

والحاكم في المستدرک: في كتاب: الدعاء: ٦٨٤/١، ح(١٨٦٢)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٨.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٥/١٥ - ٢٠٧)، والنكت والعيون للماوردي (٤٥١/٢، ٤٥٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج

(٣٤/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٣٤/٢)، والكشاف للزمخشري (٣٧١/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٥١/٢) والتفسير

الكبير للرازي (٣٠٣/١٧)، والبحر المحيط (١٠٧/٦، ١٠٨)، وفتح القدير للشوكاني (٥٣٨/٢، ٥٣٩).

(٤) معالم التنزيل للبغوي (٤٣٤/٢).

## المطلب الثالث

## سياق الآيات الدالة على ابتلاء يونس وصبره عليه السلام

يستفاد من مجموع الآيات الواردة في شأن يونس - عليه السلام - أنه ابتلي ابتلاءً شديداً، وأنه صبر على هذا الابتلاء صبراً عظيماً، لا كما زُعم في الروايات الإسرائيلية أنه - عليه السلام - لم يصبر على قومه، وأنه ملهم وضجر منهم وفرّ هارباً!!!<sup>(١)</sup>. والأدلة على شدة ابتلائه وعظيم صبره - عليه السلام - كثيرة جداً؛ نستطيع استنباط بعضها من الآيات الواردة في شأنه على النحو الآتي:

**\*\* أما ابتلاؤه:**

**فأولاً: ابتلاؤه بعدم إيمان قومه جميعاً حتى فارقهم:**

حيث يعد يونس - عليه السلام - من الأنبياء الذين لا قوا في سبيل الدعوة إلى الله تعالى أشد البلاء، فبالرغم مما قضاه فيهم من سني الدعوة إلا أنه لم يلق منهم إلا التكذيب والإصرار على الكفر؛ إذ لم يؤمن به أحد منهم حتى فارقهم!.

ولو قارنا - على سبيل المثال - بين ابتلائه بتكذيب قومه، وبين ابتلاء نبي الله نوح بتكذيب قومه له لوجدناه أشد ابتلاء من نوح - عليه السلام - مع قومه؛ حيث يتبين الآتي:

١- أنه لم يؤمن به أحد من قومه من أول دعوته إياهم إلى أن أُنذرتهم بوقوع العذاب وفارقهم، ولم يؤمنوا حتى شاهدوا مقدمات عقاب الله، بينما آمن مع نوح - عليه السلام - قليل من قومه قبل أن يغرقهم الطوفان، كما دل على ذلك قول الله عزو جل: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- أن نوحاً - عليه السلام - آمن به بعض أهل بيته، وفي هذا قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾<sup>(٣)</sup>، أما يونس عليه السلام فلم يؤمن معه أحد من أهل بيته بدلالة خروجه وحده من بين أظهرهم، ولو كان أحد منهم آمن لخرج معه مخافة وقوع العذاب الموعود عليه، وهذا أشق ما يكون على النبي!!، أن يعرض أهله عن دعوته وعن مناصرته وهم حميته التي يفترض أن تمنعه من الناس وتقويه وترد عنه وتسليه حتى ولو كانوا على غير دينه، كما كان أبو طالب يفعل مع الرسول صلى الله عليه وسلم. أضف إلى ذلك ما يعانیه من الحزن والأسى لما يعلمه من عقاب الله لهم في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا، وهذا ابتلاء يعصر القلب ويضنيه، حين يرى أباه أو ابنه أو أخاه أو من رياه سائراً بعمله إلى النار، وهو لا يملك له من الله شيئاً.

هذه المعاناة وذاك الابتلاء عانى منهما كثير من الأنبياء، ومنهم يونس - عليه السلام -، وهو وإن لم تذكر معاناته في القرآن تفصيلاً، فليس يعني هذا أنه لم يعان؛ لأن القرآن الكريم لا يذكر ما هو مفهوم من سياق القصص؛ إيجازاً وإعجازاً.

(١) سيأتي ذكر هذه الروايات في المبحث الثاني إن شاء الله.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٠.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٠.



### وثانيًا: ابتلاؤه بأن العذاب حق على قومه جميعًا:

وهو ابتلاء آخر ابتلي به يونس -عليه السلام- حيث حق العذاب على قومه جميعًا!!، وهو ابتلاء شديد وألم نفسي قاتل؛ لأنه يعني أن جهوده معهم ضاعت، ولم تثمر، ولم ينتفع بها أحد منهم، وأنه سيأتي يوم القيامة وليس معه أحد آمن به!!.

وإن مما يتفاخر به الأنبياء يوم القيامة كثرة عدد الأتباع، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أن النبي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد في الحديث الذي يرويه عنه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عُرِضت علي الأمم، فجعل النبي والنبينا يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد بملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا وما هنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك<sup>(١)</sup>).

وقد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك في قوله: (إنكم اليوم على دين، وإني مكاثر بكم الأمم، فلا تمشوا بعدي القهقري<sup>(٢)</sup>). وما ذاك إلا حرصا من الأنبياء على تبليغ دعوة الله لكل من أرسلوا إليهم بكل ما أوتوا من جهد وما يستطيعون من تضحيات، ولأن كل نبي يكتب له من الأجر على قدر من آمن به وبرسالته وعمل بهديه.

وعلى قدر ما كان قومه معاندين له على قدر ما كان غضبه منهم بسبب عنادهم هذا، فهو يريد لهم الخير وهم لا يريدونه لأنفسهم؛ حتى خرج من بين أظهرهم وهو كاره لكفرهم وعنادهم وبخلهم على أنفسهم بالخير بعد أن أخبره الله أن العذاب واقع بهم.

### وثالثًا: ابتلاؤه باليم والحوت:

وفوق ابتلائه بقومه ازداد ابتلاءً لَمَّا قَدَّرَ اللهُ تعالى له أن يركب في فُلك مشحون كادت أن تغرق، حتى اضطر من بما أن يستهموا على تخفيف حملها لأجل النجاة، بدل أن يغرقوا كلهم، فكان سهمه مع من يخفف بهم الحمل ليغرقوا فداء لأرواح البقية<sup>(٣)</sup>. إلا أن الله تعالى نجاه بالتقام الحوت له؛ قال الله تعالى في حكاية ذلك: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الطب، باب: من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو: ١٢٦/٧، ح(٥٧٠٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الحديث: أحمد في مسنده: ١١٧/٢٢ ح(١٤٨١١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقال محققه: إسناده ضعيف لضعف مجالد: وهو ابن سعيد.

(٣) القصة مبسطة في كثير من كتب التفسير، وفيها تفاصيل أكثر من هذا. وسيأتي ذكرها عند ذكر الافتراءات عليه باتهامه بما لا يليق. يراجع مثلا: تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٢٦ - ٣٢٢٨)، والتفسير البسيط للواحدي (١٩ / ١٠٥)، والكشف والبيان (٦ / ٣٠١)، و(٨ / ١٧٠)، ومعالم التنزيل (٤ / ٤٧)، والكشاف للزمخشري (٤ / ٦١) والحرر الوجيز (٤ / ٤٨٥)، والتفسير الكبير (٢٦ / ٣٥٦، ٣٥٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٥٥٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٥ / ٤٥، ٤٦) وغيرها.



أَفَلَاكَ الْمَشْحُونُ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ﴿١﴾، وبقي في عناء الوحدة والهلع لما أصابه بسبب ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت، وظلمة جوف البحر<sup>(٢)</sup>، مدة من الزمن، قيل في أكثرها: أربعين يوماً بلياليها، وقيل في أقلها: ما بين عشية وضحاها<sup>(٣)</sup>. حتى أصابه السقم وهو في بطن الحوت، فأى بلاء أعظم من هذا الذي أصابه؟!، إنه بلاء أشد من بلاء يوسف في البئر، وأشد من بلاء يعقوب في فقد ابنه، إنه أشبه ما يكون بلاء إبراهيم -عليه السلام- لما ألقاه قومه في النار، فأنجاه الله منها، وكانت عليه برداً وسلاماً.

### \* وأما صبره عليه السلام:

فقد دلت الآيات الكريمة على كمال صبره رغم تعرضه لابتلاءات شديدة لا يصبر عليها إلا من اصطفاه الله تعالى لرسالته، ولا أدل على ذلك من أنه وهو في قمة ابتلائه حال التقام الحوت إياه ظل مطمئن القلب صابراً على قدر الله، ولم يفتر لسانه عن تسبيح الله وذكره، وهو في ظلمات بعضها فوق بعض!!، في هذا الموقف العصيب الذي ينسى فيه المرء كل شيء، لأنه بكل وضوح يصارع الموت!!، يقول الله تعالى: ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْرَبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَجْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ ﴿٤﴾، ويقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ ﴿٥﴾.

ولأجل كمال صبره وتما يقينه امتن الله تعالى عليه فرفع قدره وأعلى منزلته عنده سبحانه واجتباؤه؛ حيث قال

تعالى: ﴿فَأَجْنِبْهُ رُبَّهُ، فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿٦﴾.

## المطلب الرابع

### الآيات الدالة على عناية الله به وتفريج كربته

لقد تجلت عناية الله تعالى بنبية يونس -عليه السلام- من بداية ما حل به الكرب إلى أن فرجه الله عنه في عدة حوادث تحمل في طياتها وبين ثناياها ألوانا من الرحمة والرعاية وإن كان ظاهرها مهيب وعظيم الخطر، فظهور حوت مكلف بالتقامه في عرض بحر مظلم يأخذه إلى ظلمات مجهولة، وهو على اعتقاد بأن خطبا ما حدث؛ ولأجله كلف الله هذا الحوت بالتقامه، إلى جانب أساه الذي حل به على قوم موعودين بالعذاب خَلَّفَهُمْ وراءه، ولا شك أن أهله بعضا منهم؛ كلها علامات تنبئه بنهاية مأساوية حاقت به أسبابها، ولكن حكمة الله فاقت كل

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٤٠ - ١٤٢.

(٢) انظر: النكت والعيون للمواردي (٤٦٦/٣)، التفسير الوسيط للواحدى (٣/ ٢٤٩).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٠/ ٣٢٢٩).

(٤) سورة الأنبياء، الآيات: ٨٧، ٨٨.

(٥) سورة الصافات، الآيات: ١٤٣، ١٤٤.

(٦) سورة القلم، الآيات: ٥٠.



الحكم، وقدرته فاقت كل قدرة؛ إذ جعل ما هو سبب للهلاك سبباً للنجاة ليتجلى للمؤمن المتدبر عظم مكانة نبي الله يونس -عليه السلام- عند ربه سبحانه، وأن الحوادث التي وقعت كانت كلها خيراً له، وليس فيها ما يدل على عقابه بجزيرة فاعلمها أو تقصير في أمر الدعوة صدر منه؛ كما يوهم ظاهرها، أو كما زعمته الروايات الإسرائيلية الباطلة.

ونستطيع أن نستنبط بعض صور عناية الله تعالى به من خلال الآيات الواردة في شأنه فيما يأتي:

**أولاً: أن الله تعالى حماه من الغرق ومن افتراس الحوت له:**

حيث دل التعبير بفاء الترتيب والتعقيب في قوله تعالى: ﴿فَالنَّمَةُ الْخَوْتُ﴾ على أن الله تعالى قدر نجاته مباشرة أول ما ألقى نفسه أو ألقاه الناس في البحر. كما دل التعبير بلفظ (الحوت) معروفاً وليس نكرة على أنه كان حوتاً متهيئاً ومنتظراً ومتأهباً ليكون سفينة نجاته، والمعنى: فالتقمه الحوت المعروف الذي أعددناه له وهيأناه لاستقباله ليكون سبباً لنجاته عليه السلام.

**ثانياً: أن الله تعالى حرم على الحوت افتراسه وأكله:**

وهذا مفهوم من التعبير بلفظ (الالتقام) الدال على البلع لا المضغ والتقطيع والهضم. قال أهل اللغة: "التَقَمْتُ اللَّفْمَةَ، إِذَا ابتلعتهَا، وَلِقِمْتُهَا بالكسر لِقْمًا وتَلَقَّمْتُهَا، إِذَا ابتلعْتَهَا فِي مُهَلَّةٍ"<sup>(١)</sup>.

**ثالثاً: تقليل زمن بقائه في بطن الحوت:**

حيث لم يكتب الله عليه المكث في بطنه زمناً طويلاً، وإنما عَجَّلَ بخروجه من بطنه، فكانت مدة بقائه في بطنه من وقت التقامه إلى وقت تلفظه عليه السلام بالدعاء واستجابة الله تعالى له؛ ويبدو والله أعلم أنها لم تكن بالمدة الطويلة، خلافاً لما رواه ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup>؛ يدل على ذلك:

- التعبير بفاء الترتيب والتعقيب في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾، والتي تدل على سرعة إجابة الله تعالى له وإنجائه، ويقوي ذلك التعبير بحري السين والتاء والذي يدل على المبالغة في إجابة الله دعاءه.

- أن الله تعالى مدحه بأنه كان من المداومين على التسييح قبل محنته باليم والحوت وأنه لم ينقطع أثناءها، وأن هذا التسييح كان سبباً في نجاته: أما تسييحه قبلها فيدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسِيحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ<sup>(٤)</sup>، وأما تسييحه أثناء المحنة فيدل عليه قوله تعالى: ﴿فَكَادَى فِي

الظُّلْمَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وهذا كله يدل على أن

تسييحه في بطن الحوت كان موصولاً بتسييحه الذي كان قبل ذلك على وجه الأرض. وإذا كان تسييحه هذا كان سبباً في نجاته وأنه لم ينقطع لا قبل المحنة ولا أثناءها، وأن الله تعالى استجاب دعاءه من فوره، فيبعد مع هذا كله أن يكون مكثه في بطن الحوت كان طويلاً.

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٥ / ٢٠٣١)، ولسان العرب لابن منظور (١٢ / ٥٤٦)، مادة (لقم).

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٠ / ٣٢٢٩): قيل في أكثرها: أربعين يوماً بلياليها، وقيل في أقلها: ما بين عشية وضحاها، والراجح في رأيي أنها لم تكن بالطويلة؛ لما ذكرته.

(٣) سورة الصافات: الآيات: ١٤٣، ١٤٤.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.



رابعاً: إلقاء الحوت له في عراء ليس فيه شيء يؤذيه كالسباع والهوام:

قال الله تعالى: ﴿فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (١٤٥)، حيث تولاه الله تعالى بعنايته ورعايته بعد أن أمر الحوت أن يطرحه على شاطئ البحر في مكان لا شجر فيه، والعراء: هو المكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبات (١)، و(سقيم)، أي: معتلاً مريضاً (٢)، وهو -عليه السلام- سقيم؛ أي: عليل في جسمه وفي نفسه؛ مما ناله من هذا الغم والهلم والكره (٣).

قال ابن مسعود: (فنبذه على ساحل البحر كالفرخ الممّعت) (٤)، أي: كالفرخ حين يخرج من البيضة لا ريش عليه (٥)، وقال الفخر الرازي: "قِيلَ الْمُرَادُ أَنَّهُ بَلِيَ لِحُمُهُ وَصَارَ ضَعِيفًا كَالطُّفْلِ الْمَوْلُودِ" (٦).

خامساً: إنبات شجرة البقطين عليه:

قال الله تعالى: ﴿فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (١٤٥) وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ (١٤٦)، والمعنى: وأنعمنا عليه فأنبتنا فوقه شجرة من يَقْطِينٍ (١)، وهي كل شجرة لا تقوم على ساق، كالذّبّاء والبَطِيخ والحَنْظَل ونحو ذلك (٢)؛ ليكون ورقها ظلاً له من الهوام، وثمرها شفاء له من سقمه (٣)، إنعاماً عليه، وإكراماً له.

سادساً: أن الله تعالى وفقه لعمل صالح كان سبباً في تفريج كربه وغمه:

حيث وفقه الله تعالى من قبل الخنة لعمل صالح متقبّل عرف الله به في الرخاء فكان سبباً لمعرفة الله له في الشدة، حيث أثنى الله تعالى عليه بأنه رعى له حق تعبده فيما سبق، وحفظ له ما سلف من الطاعة فقال: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٤٣) لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤). حيث كان تعبده بالتسبيح

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٣٩ - ١٤٧.

(٢) يراجع: مجاز القرآن لأبي عبيد: ٢ / ١٧٥، وجامع البيان: ٢١ / ١١١، ولسان العرب: ١٥ / ٤٩، مادة (عرا).

(٣) لسان العرب (١٢ / ٢٨٨)، والكشاف (٤ / ٦٢)، والمفردات في غريب القرآن (ص: ٤١٥).

(٤) السَّقْمُ والسَّقْمُ: المرض يكون في البدن وفي النفس، يراجع: المفردات في غريب القرآن: ص: ٤١٥، والكشاف: ٤ / ٦٢.

(٥) انظر: تفسير البغوي: (٢ / ٤٣٦).

(٦) يقال: تمّعت أوباره وتمّعت شعره: تفرق وتطاير وتساقط. والأمّعت: من لا شعر على جسده. ينظر: معجم متن اللغة (٥ / ٣٢٠).

(٧) انظر: تفسير الفخر الرازي: (٢٦ / ٣٥٨).

(٨) سورة الصافات، الآيات: ١٣٩ - ١٤٧.

(٩) يراجع: جامع البيان: ٢١ / ١١٢، ولسان العرب: ١٣ / ٣٤٥، والتبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم: ص: ٢٧٨.

(١٠) يراجع: جامع البيان: ٢١ / ١١٢، ولسان العرب: ١٣ / ٣٤٥، والتبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم: ص: ٢٧٨. وقيل:

هو الذّبّاء خاصة أو القرع، يراجع: باقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لغلّام ثعلب: ص: ٤٣٢.

(١١) انظر: غرائب التفسير للكرماني تاج القراء: (٢ / ٩٨٥).

(١٢) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.



والصلاة في بطن الحوت امتداداً لأعماله الصالحة في حياته السابقة يدل على ذلك: التعبير بلفظ الماضي: ﴿كَانَ﴾ في إشارة إلى حكاية حاله سابقاً، وقربه من ربه، حيث جعل الله تعالى نجاته مبنية على تلك الملازمة على الطاعة والعبادة فيما سبق.

سابعاً: أنه -عليه السلام- أهم من الدعاء ما لفظه لفظ جامع، وكان سبباً في نجاته:

فدعاؤه الوارد في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> تضمن جوامع الدعاء كلها حيث: افتتحه بكلمة التوحيد بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ وهي الكلمة الجامعة لكل ما يلجأ به إلى الله تعالى، فمنه وحده يطلب لا من غيره، وهي المقتضية لكمال قدرته تعالى على تغيير الحال، فلا إله غيره يستعان به في الشدائد، فهو الذي يفرج الكرب، وإليه العبد الصالح يؤوب، ثم نزه الله تعالى بلفظ التنزيه: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ الجامع للتنزيه من كل عيب ونقص، ثم اتهم نفسه بالتقصير كعادة العباد الصالحين، بقوله: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

ثامناً: أدركته نعمة من الله تعالى:

وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدْرِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾<sup>(٢)</sup>. ومن كان في نعمة من الله فقد حاز الخير كله؛ لأنه يكون في رعاية مولاه، وهي منة من الله عليه؛ لأن الله تعالى ابتلاه فصبر ولم يجزع، بل لم يفتأ يذكر الله تعالى ويسبحه وهو في أشد الابتلاء، وهو في بطن الحوت، في ظلمات بعضها فوق بعض؛ فلم يكن يفتر عن ذكر الله تعالى وعبادته.

تاسعاً: فرح الله تعالى عنه ما يهيمه بأن أقر عينه بإسلام أمته جميعاً:

ليشرح صدره بإيمانهم، ويفرح قلبه بمهاديتهم أجمعين، بعد أن كان قد فارقهم مغاضباً إياهم، هاجراً لهم، متوارياً عنهم لا يريد رؤيتهم، مملوء غيظاً منهم. ولم يكن هذا لنبي غيره، إذ إنه من سنن الله الماضية في الأمم السابقة أنه تعالى إذا قضى بالعذاب على أحد من الكفار، فإنه يقع به لزوماً وإن نطق بالإيمان؛ كما حدث لفرعون لما أدركه الغرق قال: ﴿ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ<sup>(٤)</sup>، فلم ينفعه ذلك الاعتراف بعد أن حق العذاب عليه، أما في شأن قوم يونس -عليه السلام- فكان الأمر مختلفاً؛ إذ قال الله في شأنهم: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ قَرِيبَةً ءَأَمَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَأَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءِعَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>(٥)</sup> [يونس: ٩٨].

والمعنى: فهلا كانت قرية من القرى التي أرسلنا إليها رسلنا آمنتم عند رؤيتها مقدمات العذاب ففنعها إيمانها في ذلك الوقت، فرفعنا عنها العذاب!!، إلا قوم يونس، فهم وحدهم الذين لما عابنوا مخايل العذاب قبل أن

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤٩.

(٣) سورة يونس، الآيتين: ٩٠، ٩١.



يأشروهم آمنوا جميعاً إيمان صدق ورغبة لا تخلصاً من العذاب؛ ولذا تاب الله عليهم ورفع العذاب عنهم، وامتعم في هذا الدنيا بصنوف النعيم طيلة أعمارهم حتى انتهت آجالهم.

## المبحث الثاني

### تحقيق القول فيما نسبته إليه المفسرون من ذنب

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الروايات الواردة في شأن يونس عليه السلام وذنبه الذي أذنب.

المطلب الثاني: نقد الروايات الواردة في شأن ذنب يونس عليه السلام واستدلالات المفسرين بها.

المطلب الثالث: القول الراجح في ماهية الذنب المنسوب إلى يونس عليه السلام.

المطلب الرابع: الحكمة في ابتلاء يونس عليه السلام بهذا الابتلاء العظيم.

## المطلب الأول

### الروايات الواردة في شأن يونس عليه السلام وذنبه الذي أذنب

يمكن القول بأن الروايات الواردة في شأن يونس عليه السلام مع قومه تنقسم بالجملة إلى قسمين:

#### القسم الأول:

ما ثبت في السنة الصحيحة في شأنه عليه السلام:

من المعلوم أن قصة نبي الله يونس -عليه السلام- من القصص القرآني الذي ورد موجزاً لحكم يعلمها الله تعالى، ولم يرد في السنة الصحيحة -فيما أعلم- ما يبين ذلك الإيجاز، إلا حديثاً أخرجه الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِيَّيَّ حَيْزٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى - نَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ - أَصَابَ ذَنْبًا، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ)<sup>(١)</sup>.

فقوله (أَصَابَ ذَنْبًا): فيه تصريح بوقوع الذنب منه عليه السلام؛ بدلالة الفعل (أصاب) الدال على وقوع الذنب منه، وتسمية ما وقع منه ذنباً. ويستفاد من هذا الحديث أمران: الأول: أن في تنكيره صلى الله عليه وسلم للذنب ما يفيد أنه من الصغائر، والثاني: أنه صلى الله عليه وسلم أجبه للستر.

#### القسم الثاني:

ما ورد من روايات إسرائيلية في شأن قصته عليه:

حيث ذكر كثير من المفسرين كثيراً من الروايات الإسرائيلية واعتمدها في تفسير مجمل القرآن الكريم في قصته عليه السلام؛ وهي روايات إسرائيلية خلطت الحق بالباطل، والصواب بالخطأ، وأتت بما يتعارض مع القرآن نفسه ومع الثابت في السنة النبوية، والمتفق عليه في عصمة الأنبياء.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٠٣)، ح (٣٢٥٢)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وقد ورد هذا الحديث بعدة

صيغ وهذا أقربها لموضوع البحث.



وليس المقام ههنا مقام حصر لتلك الروايات، ولهذا سأكتفي بذكر ما يتعلق منها بموضوع البحث، وهي التي ذكرها المفسرون عند تفسير الآيات الكريمة التي يوهم ظاهرها وقوع الذنب منه عليه السلام، وهي على النحو الآتي:

أولاً: ما ذكره المفسرون عند تفسير لفظ: ﴿مَغْضِبًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَذَا لُؤْتُونَ إِذْ ذَهَبَ مَغْضِبًا﴾<sup>(١)</sup>، وتفسير لفظ: ﴿أَبَقَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾<sup>(٢)</sup>:

١- ما يروى عن وهب بن منبه أنه قال: "... كان في حُلُقُه ضيق فلما حُمِلت عليه أثقال النبوة ولها أثقال لا يحملها إلا قليل تفسخ تحتها تفسخ الرُّبْع<sup>(٣)</sup> تحت الحمل ففقدفها من يده وخرج هاربا منها"<sup>(٤)</sup>. قال وهب في معنى ﴿أَبَقَ﴾: عبدٌ أبَقَ من سيده<sup>(٥)</sup>.

٢- ما يروى عن ابن مسعود، وابن عباس، والربيع ابن أنس عن رجل مجهول، وسعيد بن جبير وغيرهم أن سبب خروجه -عليه السلام- أنه لما لم يقع العذاب الذي أنذر به قومه عليهم، وكانوا يقتلون من كذب ولم تكن له

(١) سورة الأنبياء، الآية (٨٢).

(٢) سورة الصافات، الآية (١٤٠).

(٣) تفسخ تحتها: أي ضعف ولم يطقها. ينظر: لسان العرب (٣/ ٤٥) مادة (فسخ). والرُّبْع: بتشديد الراء وضمها وفتح الباء، ما ولد من الإبل في الربيع، وقيل: ما ولد أول النتاج. ينظر: لسان العرب لابن منظور (٨/ ١٠٥) مادة (ربع). تفسخ تحتها: أي لم يطقها. يراجع: "المعجم الوسيط" (ص ٦٨٨) (فسخ).

(٤) الأثر: أخرجه الحاكم في المستدرک: (٢/ ٦٣٩ ح ٤١٢٨) وسكت عنه الذهبي في التلخيص. وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٨/ ٥١٣). وهو معلول بعلتين: الأولى: الانقطاع، والثانية: فيه (عبد المنعم بن إدريس عن أبيه إدريس بن سنان الصنعائي ابن بنت وهب ابن منبه) ضعفه غير واحد من علماء الجرح والتعديل، وفيه أبوه (إدريس) قال عنه البخاري: ذاهب الحديث، ليس يعتمد عليه، تركه غير واحد، وأفصح أحمد بن حنبل فقال: كان يكذب على وهب بن منبه. وقال ابن عدي: صاحب أخبار بني إسرائيل كوهب بن منبه وغيره، لا يعرف بالأحاديث المسندة. ولهذا فإن إسناده ضعيف جداً؛ فضلاً عن أن مصدر الأثر وهب بن منبه، وهو ناقل عن بني إسرائيل، وهم قوم ليس لهم إسناد إلى معصوم، ومضمون الرواية مما لا يقبل إلا من معصوم، لأنه مما لا مجال للرأي فيه.

ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ١٦٩)، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٢/ ٣٤)، والثقات لابن حبان (٦/ ٧٧)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ١٩٤)، والتاريخ الكبير للبخاري (٦/ ١٣٨)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٦٦٨)، والكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٣٥)، وديوان الضعفاء للذهبي (ص: ٢٦٠).

(٥) يراجع: الكشف والبيان للتعلي (٨/ ١٧٠)، والتفسير الوسيط للواحدى (٣/ ٥٣٣)، معالم التنزيل للبعوي (٤/ ٤٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦١)، ومدارك التنزيل للنسفي (٣/ ١٣٦)، ولباب التأويل للخان (٤/ ٢٧)، وحاشية الطيبي على الكشاف (١٣/ ٢٠١)، ولباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٦/ ٣٤٤)، ونظم الدرر للبقاعي (١٦/ ٢٩٢)، والسراج المنير للخطيب الشريبي (٣/ ٣٩٣)، والبحر المديد لابن عجيبة (٤/ ٦١٩)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٧١).



بينة، وأنه قال في نفسه: (لا أرجع إليهم كذاباً أبداً) ومضى على وجهه مغاضباً لربه معاتباً له، أبقأ منه، وركب الفلك المشحون؛ فعاقبه الله على ذنبه هذا بالتضييق عليه في بطن الحوت، حتى تاب فغفر له<sup>(١)</sup>.  
ولأنه من معاني الإيلاق في اللغة: الهروب<sup>(٢)</sup> ذكر المفسرون في سبب هروبه وغضبه أقوالاً لا تليق بعصمة الأنبياء عليهم السلام؛ بناءً على هاتين الروايتين، واختلفوا في سبب الهروب للاختلاف بين الروايتين في سببه، فمن أخذ بالرواية الأولى قال بأنه هرب من ثقل النبوة عليه، ومن أخذ بالرواية الثانية قال بأنه هرب من ربه غضبا منه تعالى والعباد بالله؛ ذكر ذلك جمع من المفسرين دون تعقيب ببيان مخالفته لمقام النبوة<sup>(٣)</sup>.

وهناك قول ثالث نقله الماوردي عن الشعبي: "وإنما هي خروجه بغير إذن، فكانت هي معصيته"<sup>(٤)</sup>.  
٣- ما يذكر من أن الله تعالى أمر نبيه أشيعاء -عليه السلام- أن يأمر النبي الملك حزقييل أن يأمر نبياً من الأنبياء الخمسة الذين كانوا في أرضه أن يسيروا إلى ملك من الملوك غزا بني إسرائيل في فلسطين وسبى منهم تسعة أسباط ونصف ليخلصهم من ذلك الملك، وهو -يعني الله- سيلقي في قلبه هو ومن معه الهيبة حتى يرسل بني إسرائيل، وقد أشار النبي أشيعاء على الملك حزقييل أن يبعث يونس وامتدحه له بالقوة والأمانة، فلما أمره الملك بالخروج قال له يونس: (هل أمرك الله بإخراجه؟) قَالَ: لا قَالَ: فَهَلْ سَمَّيْتُكَ؟ قَالَ: لا، فهنا عَجَبِي أَنْبِيَاءُ أَقْوِيَاءُ) فألح عليه قومه فخرج من بينهم مغاضباً للنبي وللملك ولقومه. والقول بأن المغاضبة إنما كانت من قومه رواها عطية العوفي وغيره عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>.

٤- ما ذكره البغوي عن الحسن أنه قال: "إِنَّمَا غَضِبَ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى قَوْمِهِ لِيُنذِرَهُمْ بِأَسْأَةِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَسَأَلَ رَبُّهُ أَنْ يُنْظَرَهُ لِيَتَأَهَّبَ لِلشُّحُوصِ إِلَيْهِمْ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ الْأَمْرَ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى سَأَلَ أَنْ يُنْظَرَ إِلَى أَنْ يَأْخُذَ نَعْلًا يَلْبَسُهَا فَلَمْ يَنْظُرْهُ. وَكَانَ فِي حُلُقِيهِ ضَيْقٌ فَذَهَبَ مُعَاضِبًا. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَى جَبْرِيلُ يُؤَنِّسُ فَقَالَ: انْطَلِقْ إِلَى أَهْلِ نَيْنَوَى فَأُنذِرْهُمْ، فَقَالَ أَلْتَمَسْتُ دَابَّةً قَالَ الْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ فَغَضِبَ فَأَنْطَلَقَ إِلَى السَّفِينَةِ".

وهذه الرواية توافق الرواية الأولى في ضيق خلقه إلا أنها تختلف في سبب غضبه من ربه.

(١) يراجع: تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٠٢)، والتفسير البسيط (١٥/ ١٥٥)، وزاد المسير في علم التفسير (٣/ ٥٥٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٣٢٩).

(٢) لسان العرب، ١٠/ ٣، مادة (أبق).

(٣) الكشف والبيان للتعليبي (٦/ ٣٠١) والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٧/ ٤٨٠٣) والتفسير البسيط (١٥/ ١٥٤) ومعالم التنزيل (٣/ ٣١٣)، وزاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٠٩)، وتفسير القرطبي (١١/ ٣٢٩)، ولباب التأويل للبخاري (٣/ ٢٤١)، والسراج المنير للخطيب الشربيني (٢/ ٥٢٦).

(٤) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٤٦٥).

(٥) يراجع: تفسير البغوي (٣/ ٣١٣).



٥- ما ذكره بعض المفسرين عن الحسن البصري من أن مغاضبته كانت لربه، وأن سبب ذلك أنه أمر بالمصير إلى قومه لينذرهم بأسه، ويدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى، وأنه سأل ربه أن ينظره، ليتأهب للشخص إلىهم، فقيل له: الأمر أسرع من ذلك، ولم يُنظر، حتى إنه شاء أن يُنظر إلى أن يأخذ نعلا ليلبسها، فقيل له نحو القول الأول، وكان رجلا في خلقه ضيق، فقال: أعجلني ربي أن آخذ نعلا فذهب مغاضبا<sup>(١)</sup>.

ثانياً: ما ذكره المفسرون في المراد بظن يونس الوارد في قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾:

١- ما روي عن ابن عباس، ومجاهد وقتادة والضحاك والكلبي وغيرهم أن المعنى: فظن أن لن نقضي عليه بعقوبة بذنبه الذي أذنبه ونضيق عليه فيها.

٢- ما روي عن ابن زيد أنه على معنى الاستفهام والتقدير: أظن أن لن نقدر عليه؟، فحذف ألف الاستفهام إيجازاً<sup>(٢)</sup>.

٣- ما روي عن سعيد بن أبي الحسن، والحسن، وإياس بن معاوية المدني أنه: أخذته لمة من الشيطان فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه<sup>(٣)</sup>.

وقد اختار ابن جرير القول الأول لعدم مخالفته لمقام النبوة، ولجوازه في اللغة فهو من التقدير، تقول العرب: فلان مقدر عليه في الرزق أي: مضيق عليه. قال الواحدي: "وقد ضيق الله على يونس أشد تضيق ضيقه على مُعَدَّب في الدنيا؛ لأنه سجنه في بطن الحوت"<sup>(٤)</sup>. ونص بعض المفسرين على أن هذا قول كثير من العلماء<sup>(٥)</sup>. وأما القول الثاني: فقد رده ابن جرير لمخالفته عادة العرب في كلامها، فهم لا يحدفون ما يحتاج إليه في الكلام إلا مع وجود يدل عليه في الكلام، ولا يوجد في الآية ما يدل عليه.

وأما القول الثالث: فهو وإن كان يجوز في اللغة أن يكون بمعنى القدرة فهو ممتنع تماماً لمخالفته مقام النبوة. وقد اتفقت كلمة المفسرين على بطلان هذين القولين، وأن من اعتقد أن يونس -عليه السلام- ظن أن لن يقدر

(١) يراجع: جامع البيان للطبري (١٨ / ٥١٣)، والكشف والبيان للنعلي (٦ / ٣٠٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣ / ٣١٤)، عن الحسن البصري.

(٢) يراجع: جامع البيان للطبري (١٨ / ٥١٥، ٥١٦)، والنكت والعيون للماوردي (٣ / ٤٦٦)، والتفسير البسيط للواحدي (١٥ / ١٦٦)، وزاد المسير (٣ / ٢١٠)، ومعالم التنزيل (٣ / ٣١٤).

(٣) يراجع: جامع البيان (١٨ / ٥١٥)، والتفسير البسيط للواحدي (١٥ / ١٦٤)، والكشف والبيان (٦ / ٣٠٣) عن عوف عن الحسن.

(٤) التفسير البسيط للواحدي (١٥ / ١٦٣).

(٥) يراجع: الكشف والبيان (٦ / ٣٠٢)، ومعالم التنزيل (٣ / ٣١٤)، واللباب في علوم الكتاب (١٣ / ٥٨٠)، والسراج المنير (٢ / ٥٢٦).



الله عليه فهو كافر؛ لأن يونس رسول، لا يجوز ذلك الظن عليه<sup>(١)</sup>. قال الأزهري: "قوله ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ لا يجوز أن يكون من القدرة؛ لأن من ظن هذا فقد كفر، والظن شك، والشك في قدرة الله كفر، وقد عصم الله أنبياءه عن مثل ما ذهب إليه هذا المتأول، ولا يتأول مثله إلا جاهل بكلام العرب ولغاتها"<sup>(٢)</sup>.  
ثالثاً: ما ذكره المفسرون في المراد بالنهي الوارد في قوله تعالى: ﴿ فَأَصْرَحْ لِلْخَيْرِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾<sup>(٣)</sup>:

وهذه الآية الكريمة واردة في سياق تسليية النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت قلبه بأمره بالصبر على ما كان يلقيه من أذى قومه له في سبيل تبليغ الدين، وقد نهى فيها عن التشبه بنبيه يونس عليه السلام، وفي ماهية هذا التشبه الذي نهي عنه خلاف بين المفسرين كل بحسب ما نقله من الروايات الإسرائيلية، وذلك على النحو التالي:  
١- من أخذوا بقول وهب بن منبه في أن المعنى: "لا تُلقِ أُخْرَى كَمَا أَلْقَاهُ"، وقد قالها عقب روايته السابقة في سبب غضبه<sup>(٤)</sup>، وأنه كان في حُلُقَه ضيق، فلما حمل أثقال النبوة لم يتحملها وفر هارباً من قومه، ونحوه ذكر عن مقاتل، والكلبي<sup>(٥)</sup>، قالوا: المعنى لا تضجر ولا تعجل كما ضجر وعجل؛ فتعاقب كما عوقب بالحبس في بطن الحوت. وهذا قول جمع من المفسرين، منهم ابن جرير الطبري، والواحدي<sup>(٦)</sup>.  
٢- من أخذ برواية ابن عباس السابقة من أن سبب خروجه -عليه السلام- أنه لما لم يقع على قومه العذاب الذي أنذرهم به، وكانوا يقتلون من كذب، خشي أن يُكذَّب عندهم، فاستعجل ومضى على وجهه مغاضباً لربه،

(١) يراجع: جامع البيان (١٨ / ٥١٦)، والتفسير البسيط للواحدي (١٥ / ١٦٥)، والكشف والبيان (٦ / ٣٠٣)، وزاد المسير (٣ / ٢١٠)، والجامع لأحكام القرآن (١١ / ٣٣٢).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٩ / ٣٩)، لسان العرب لابن منظور: (٩ / ٧٧) مادة (قدر).

(٣) سورة القلم، الآية (٤٨)

(٤) تقدم تحريجها أثناء الحديث عن الأخبار الواردة عن بني إسرائيل وأثرها في تفسير الآيات عند من نقلها من المفسرين.

(٥) تفسير عبد الرزاق (٣ / ٣٣٦)، وجامع البيان (٢٣ / ٥٦٣)، والنكت والعيون (٦ / ٧٣)، والتفسير البسيط (٢٢ / ١١٨)، ويراجع: الكشف (٤ / ٥٩٦)، وبحر العلوم (٣ / ٤٨٦)، والنكت والعيون (٦ / ٧٣)، وتفسير السمعاني (٦ / ٣١)، ومعالم التنزيل (٥ / ١٤٢)، والمحرق الوجيز (٥ / ٣٥٤)، والتفسير الكبير للرازي (٣٠ / ٦١٦)، وتفسير أبي السعود (٩ / ١٩)..

(٦) يراجع: جامع البيان للطبري (١٨ / ٥١٣) و(٢٣ / ٥٦٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٢٩)، والكشف والبيان (٦ / ٣٠٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٧ / ٤٨٠٤)، والتفسير البسيط للواحدي (١٥ / ١٥٨)، ومعالم التنزيل (٣ / ٣١٤)، وتفسير القرطبي (١١ / ٣٢٩)، ولباب التأويل (٣ / ٢٤١)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧ / ١٢٤، ٨ / ٢٦٢)، والسراج المنير (٢ / ٥٢٦)، والبحر المديد (٣ / ٤٩٢)، والكشاف (٤ / ٥٩٦)، والتفسير الكبير للرازي (٣٠ / ٦١٦)، وفتح القدير للشوكاني (٥ / ٣٣٠).



أبقاً منه، وركب الفلك المشحون؛ فعاقبه الله على ذنبه هذا بالتضييق عليه في بطن الحوت، حتى تاب فغفر له<sup>(١)</sup>.

قال القشيري: المعنى: "فلا تستعجل - يا محمد - بعقوبة قومك كما استعجل يونس فلقي ما لقي، وتثبت عند جريان حكمنا، ولا تعارض تقديراً"<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: ما ذكره المفسرون في الحوادث التي حصلت له وهو في السفينة ومنها:

١- ذكر البغوي وغيره عن ابن عباس ووهب وابن مسعود: "أنه عندما هاجت الرياح وأخذت تقلب السفينة وتميلها ميمناً ويساراً قال ملاحوها: ها هنا عبدُ أبقٍ من سيِّده، فأفترَعُوا فَوَقَعَتِ الْفُرْعَةُ عَلَى يُونُسَ، فَأَفْتَرَعُوا ثَلَاثًا فَوَقَعَتْ عَلَى يُونُسَ، فَقَالَ يُونُسُ: أَنَا الْآبِقِيُّ، وَرَجَّ نَفْسُهُ فِي الْمَاءِ. وفي رواية أنهم: قالوا: "... هاهنا رجل عاص أو عبد أبق"<sup>(٣)</sup>.

٢- ذكر البغوي أيضاً أنه روي في القصة: "أنه لما وصل إلى البحر كانت معه امرأته وابنان له، فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب، ثم جاءت موجة أخرى وأخذت ابنة الأكبر، وجاء ذئب فأخذ الابن الأصغر، فبقي فريداً، فجاء مركب آخر فركبته ففعد ناجيةً من القوم حزينا كئيباً..."<sup>(٤)</sup>.

٣- وفي خبر شجرة اليقطين التي أنبتها الله عليه قال السمعاني: "أن يونس استظل بتلك الشجرة، وجعل يأكل منها، ويشرب من مائها حتى قوي، ثم إن الله تعالى أيس الشجرة، وقد نام نومة فاستيقظ، وقد يبست الشجرة؛ فحزن حزناً شديداً، وأصابه أوار الشمس، وجعل يبكي؛ فبعث الله إليه جبريل عليه السلام وقال: أتخزن على شجرة، ولا تخزن على مائة ألف من أمتك، وقد أسلموا وتابوا إلي..."<sup>(٥)</sup>.

هذا ملخص للروايات الإسرائيلية التي ذكرها المفسرون عند تفسيرهم لآيات قصة يونس عليه السلام، وبيان ذنبه الذي أذنب.

(١) تراجع: تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٢٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للرجاج (٣ / ٤٠٢)، والتفسير البسيط (١٥ / ١٥٥)، وزاد

المسير في علم التفسير (٣ / ٥٥٢)، والجامع | لأحكام القرآن للقرطبي (١١ / ٣٢٩).

(٢) لطائف الإشارات (٣ / ٦٢٣).

(٣) تراجع: معالم التنزيل (٤ / ٤٧)، وذكرت بتفاصيل أكثر في: المحرر الوجيز (٤ / ٤٨٥)، تفسير القرطبي (١٥ / ١٢٥) الكشف والبيان (٦ / ٣٠١)، والكشاف للزمخشري (٤ / ٦١) وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٥٥٢)، وغرائب القرآن ورائب الفرقان للنيسابوري (٥ / ٤٥، ٤٦) وغيرها.

(٤) تراجع: معالم التنزيل (٤ / ٤٧)، والمصادر السابقة.

(٥) تراجع: تفسير السمعاني (٤ / ٤١٦)، وانظر أيضاً: تفسير الفخر الرازي (٢٢ / ١٧٨)، تفسير البغوي (٤ / ٤٨)، تفسير اللباب في علوم الكتاب (١٦ / ٣٤٦).



## المطلب الثاني

### نقد الروايات الواردة في شأن ذنب يونس عليه السلام واستدلالات المفسرين بها

بالنظر إلى تلك الروايات الإسرائيلية السابقة وتفحصها وتفحص الناقد الباحث عن الحقيقة نجد أنها جميعاً عبارة عن خليط من الحق والباطل، والصدق والكذب، وتحمل من التناقضات الكثير والكثير، ويمكن بيان وحوه بطلانها إجمالاً وتفصيلاً فيما يأتي:

#### القسم الأول: وجوه بطلانها إجمالاً:

ويمكن إيجازها فيما يأتي:

**الوجه الأول:** أنها بغير إسناد، إذ هي من روايات بني إسرائيل، وهم قوم ليس لهم إسناد إلى معصوم، ومضمون تلك الروايات مما لا يُقبل إلا بإسناد مقبول عن معصوم؛ لأنه مما لا مجال للرأي فيه؛ ولأجل هذا فهي غير مقبولة جملاً وتفصيلاً...

**الوجه الثاني:** أن جلها يتعارض مع صريح القرآن الكريم والسنة النبوية، الناطقين بتنزيه الأنبياء والمرسلين وعصمتهم من الوقوع في الكبائر؛ ولأجل هذا أيضاً فهي باطلة جملاً وتفصيلاً...

**الوجه الثالث:** اضطرابها في بيان سبب غضبه وإباقه -عليه السلام- اضطراباً شديداً، وهو سبب كاف لإسقاط الاستدلال بما لو أنها -فرضا- سلمت من بقية أسباب سقوطها.

**الوجه الرابع:** أنها نسبت إليه -عليه السلام- أكبر الكبائر، ولهذا فإن كل ما ذكر فيها عن ماهية ذنبه -عليه السلام- الذي أذنب كذب في كذب؛ لأنه مخالف لما أجمع عليه العلماء في عصمة الأنبياء عليهم السلام من الوقوع في الكبائر قبل البعثة وبعدها.

#### القسم الثاني: وجوه بطلانها تفصيلاً:

ويمكن بيانها في الآتي:

**الوجه الأول:** كيف يقبل أنه خالف أمر الله برفض التكليف بالرسالة بناءً على ما روي ابن مسعود؟!، فالرواية مع ما فيها من نسبة -عليه السلام- إلى الكفر بالخروج عن طاعة الله؛ فهي أيضاً متناقضة مع نفسها من ناحية أن فيها ما يثبت أنه تثبت من أن التكليف بما كان منهم وليس من الله، وغضبه من إلحاحهم عليه بما دليل على أن اجتهادهم في اختياره دون الأنبياء الأربعة الباقين يخضع للصواب والخطأ، فقد لا يصلح لها مع نبوته كما لم يكن موسى -عليه السلام- مع نبوته صالحاً لما كلف به الخضر، ولهذا قال له قبل أن يتبعه: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الكهف، الآية (٦٧)



الوجه الثاني: كيف يتصور أنه رفض التكليف من الله تعالى؟!، والأنبياء لا تفعل ذلك؛ لأن الله مدحهم بقبول التكليف بالرسالة وبلوغ أقصى درجات الاخلاص في تبليغها، وقد امتدح الله عموم النبيين بهذا ولم يستثن منهم أحداً، ويونس -عليه السلام- يدخل في هذا العموم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَهُمُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾<sup>(١)</sup>.

الوجه الثالث: تفسير لفظ الإباق في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾<sup>(٢)</sup> بأنه الهروب من الله أو غضبه من الله عز وجل استدلالاً بقوله تعالى: ﴿فَطَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، وأنه من القدرة لا التقدير الذي هو بمعنى التضييق، إنما هو قول باطل، وهو مبني على جهالة لا تصدر إلا من أحمق يعتقد أنه بالإمكان الهروب من سلطان الله عليه، لأن الأرض ومن عليها والسموات ومن فيها كلها واقعة تحت ملكه تعالى، فهذا المعتقد فضلاً عن كونه باطلاً، ولا يتصور اعتقاده من أحد من المؤمنين يعد أيضاً كفرة بصفة من صفات الله تعالى وهي العلم والإحاطة بكل شيء في ملكه، وهو سبحانه القائل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾<sup>(٣)</sup>، فمن غير المعقول أن يجهل هذا نبي مرسل، ويعقله الجن وهم حديثو عهد بإيمان لما قالوا: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُنْجِزَهُ هَرَبًا﴾<sup>(٤)</sup>.

ومثله في البطلان قول من قال إن هروبه كان من قومه، وأنه ضعف عن تحمل أعباء الرسالة، وأنه تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل؛ لأنه يقدح في صفة من صفات الله تعالى، وهي تدبير الأمور بحكمته العظيمة، ومن فائق حكمة الله تعالى أنه يعلم أين يجعل رسالته فهو سبحانه القائل: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(٥)</sup>، فيلزم من هذا القول معارضة هذه الآية، ونسبة الخطأ إلى الله عز وجل بتكليف يونس بالرسالة وهو لا يصلح لها، وهذا كفر، وأكفر منه ما يقتضيه هذا القول من نسبة الظلم إلى الله تعالى، بتحميل يونس -عليه السلام- ما لا يطيق من التكليف، ثم محاسبته على ما لا طاقة له به، وهذا مناف لقلوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٩).

(٢) سورة الصفات، الآية (١٤٠).

(٣) سورة الطلاق، الآية (١٢).

(٤) سورة الجن، الآية (١٢).

(٥) سورة الأنعام، الآية (١٢٤).

(٦) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).



**الوجه الرابع:** ما روي من أن يونس -عليه السلام- لما رأى العذاب لم يقع بهم كما توعدهم خاف على نفسه من القتل؛ لأنهم كانوا يقتلون الكذاب؛ ولهذا فرّ منهم إلى الفلك المشحون إلى غير رجعة؛ مردود من عدة جهات: أولاً: أنه ورد في القرآن الكريم أن قومه رأوا مخايل العذاب فأمنوا فكشف الله عنهم العذاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَٰذَابَ الۡحِزْبِ فِي الۡحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمۡ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>(١)</sup>، فيلزم من إيمانهم تصديقهم بما جاء به يونس -عليه السلام-، ويلزم من كون العذاب كشف عنهم رؤيتهم له؛ فكيف يخشى تكذيبهم وقد صار الخبر عن العذاب حقيقة شاهدوا هم مخايلها بأعينهم؟!!!

ثانياً: أن خشية الإنسان على نفسه الهلكة إذا وجدت أسبابها إنما هو خوف طبيعي مجبول عليه البشر جميعاً ومنهم الأنبياء، ولم يعبه الله على نبيه وكليمه موسى عليه السلام لما خاف على نفسه من بطش فرعون به لقتله القبطي فقال متحرراً لا ممنوعاً من التكليف: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَنَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، فأمنه الله تعالى هو وأخاه حيث قال: ﴿وَجَعَلْ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنْتَمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالبلاغ وتكفل بعصمته من شر الناس فقال: ﴿وَاللّٰهُ يَعْصَمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup>، وحكى عيسى عليه السلام من القتل ورفع إليه؛ فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، وخرق العادة لحماية إبراهيم -عليه السلام- من قومه، فقال للنار التي ألقاها فيها قومه: ﴿كُوْنِي بَرْدًا وَسَلٰمًا عَلٰى اِبْرٰهِيْمَ﴾<sup>(٦)</sup>.

ثالثاً: أن الحماية من القتل لم تكن لكل نبي، فإن منهم من قتله قومه، وأخبر الله عن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَهُمُ الْاَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾<sup>(٧)</sup>، وجائز أن يكون يونس -عليه السلام- ممن لم يعصم من قومه، فحق له حينها أن يحمي نفسه من القتل، بل يجب عليه فعل ذلك، ليس للخوف منهم، ولكن حتى تبلغ الدعوة مبلغها، فحماية نفسه من الهلكة في حقه أولى من خيار التضحية ونيل الشهادة في سبيل الدين. رابعاً: من قال من المفسرين بأن العقوبة نزلت به لكونه خرج من بينهم بدون إذن من الله بعد أن أعلمهم بوقوع العذاب بهم، هو أيضاً قول استنبطه قائله من الروايات الإسرائيلية، فهو كمثل من قال خرج خوفاً على نفسه من القتل سواء بسواء، والرّد عليه يكون بمثل بما قيل في الأول.

ويزاد عليه بأنه ثبت بالقرآن أن الله تعالى أمر بعض الأنبياء بالخروج من بين ظهراني أقوامهم، كنبى الله لوط -عليه السلام-؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوْطُ اِنَّا رَسُوْلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوْا اِلَيْكَ فَاَسْرِ بِاَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا

(١) سورة يونس، الآية (٣٣).

(٢) سورة القصص، الآية (٩٨).

(٣) سورة القصص، الآية (٣٥).

(٤) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٥) سورة النساء، الآية (١٥٧).

(٦) سورة الأنبياء، الآية (٦٩).

(٧) سورة آل عمران، الآية (١٨١).



يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَّ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِبْ إِلَيْكَ يَاقُوتَ بِنِيعٍ وَأَتَمِّعْ أَذْبَرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴿٢﴾.

فلعل خروج يونس -عليه السلام- من هذا القبيل، وهو خروج مشروع؛ لأنه لا يجوز له أن يلقي بنفسه في التهلكة ويبقى معهم وقد حل بهم عذاب الله تعالى، قال الله تعالى في الإشارة إلى إيمانهم وقت حلول العذاب بهم: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴿٣﴾.

الوجه الخامس: ما روي من أنه كان يتمنى وقوع العذاب بقومه وعدم رفعه عنهم، لا يجوز وصفه عليه السلام به بأي حال؛ لأنه يعد حقداً وتشفياء، وليس هذا من صفات الأنبياء، ولا يعرف عن الأنبياء إلا الرحمة بأقوامهم وبندل غاية النصح لهم، وشواهد ذلك كثيرة من أفعالهم، علاوة على ذلك فإنه منافي للعقل؛ إذ إن رفع العذاب عنهم وإيمانهم كلهم يدعو إلى الفرح لا الغضب، فالعقل يستحيل صدور الغضب منه -عليه السلام- لهذا السبب، وهو الذي بذل الجهد وأفرغ الطاقة في دعوتهم، أفحين يكرمه الله بحصول المقصود يغضب!! من ذا الذي يغضب من بلوغ من يدعوه مبلغ أولياء الله الصالحين الذين جري على أيديهم أعظم الكرامات برفع العذاب لصدق إيمانهم بالله.

الوجه السادس: ما روي<sup>(٤)</sup> عن الحسن البصري من أن مغاضبته كانت لربه، وأن سبب ذلك أنه أمر بالمصير إلى قومه لينذرهم بأسه، ويدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى، وأنه سأل ربه أن ينظره، ليتأهب للشخص إلى بهم، فقيل له: الأمر أسرع من ذلك، ولم يُنظر، حتى إنه شاء أن يُنظر إلى أن يأخذ نعلا ليلبسها، فقيل له نحو القول الأول، وكان رجلاً في خلقه ضيق، فقال: أعجلني ربي أن آخذ نعلا فذهب مغاضباً.

هذه رواية مردودة؛ لأنها مرسله، وباطلة من وجوه:

أولاً: أنه ما كان لله تعالى أن يستعجله في هذا الأمر؛ خاصة أن القوم باقين على الكفر، ولن يضيرهم ذلك الوقت الذي يقضيه يونس -عليه السلام- في تجهيز نفسه بما يكسبه هيبة ووقاراً، فيكون ذلك أدعى لاتباعه، حتى لا يكون في مرمى ألسنة الجهال منهم إذا أتاهم حافي القدمين رث الثياب.

ثانياً: أن القول بوجود ضيق في خلق يونس -عليه السلام- بما يخل بتبليغه لرسالة ربه قول باطل؛ ويؤدي اعتقاده إلى الكفر؛ لأنه يطعن طعناً صريحاً في اختيار الله عز وجل له للنبوة والرسالة، والله تعالى لا يختار لهما إلا أكمل البشر إيماناً وخلقاً.

(١) سورة هود، الآية (٨١).

(٢) سورة الحجر، الآيات ٦١-٦٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٨.

(٤) يراجع: جامع البيان للطبري (١٨/٥١٣)، والكشف والبيان للتعليبي (٦/٣٠٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/٣١٤)، عن الحسن البصري.



الوجه السابع: اعتداد بعض المفسرين بتلك الروايات، حتى لجأوا إلى تحميل الآيات من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ﴾<sup>(١)</sup> ما لا تحتل من الوجوه، فذكروا: أن وصفه بالرسالة مرتين في هذه الآيات دليل على أنه كان منبأ وقت وقوعه في الذنب، وأن النبوة سلبت منه ثم أعيدت له بعد التوبة وخروجه من بطن الحوت، استدلالاً منهم بقوله تعالى في خاتمة القصة: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويجاب عن هذا بعدة أجوبة كالآتي:

أولاً: أن ذكر أمر إرساله في الآيات مرتين ليس فيه ما يدل على ما ذهبوا إليه، وغاية ما فيه أنه ذكر بالرسالة أولاً: للتنبيه على شرف منزلته عند ربه قبل ذكر ما فرط منه، حتى لا يظن ظان أن ما فعله أنقص قدره عند الله، وأما ذكره بالرسالة ثانياً: فالغاية منه التأكيد على ما نبه عليه في الأول مع زيادة في الرفعة والمكانة على ما كان عليه في السابق، بذكر عدد من آمن به ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ﴾ للزيادة في تشريفه على القدر الذي كان عليه من قبل عند الله، والدليل على صحة ذلك تكرر هذا الأسلوب البلاغي في القرآن في مواضع كثيرة، حيث يذكر في ذات الآية اللفظ مرتين يكون في الثاني زيادة ليست في الأول بدلالة سياق الآية نفسها، وهذه الآية من هذا القبيل<sup>(٣)</sup>.

ثم إن المعهود من كرم الله تعالى أن يتفضل على عباده التائبين المستغفرين، لا أن يسلب منهم ما منحهم وأعطاهم كما يُدعى، بمقتضى فضله تعالى لا بمقتضى عدله، وهو ما كان فعلاً؛ حيث لم يغفر الله تعالى ليونس - عليه السلام - فحسب؛ بل شرفه بأعلى مما كان عليه قبل فرط الذنب منه، وذلك بإيمان قومه جميعاً لتصبح أعمالهم وأعمال من يقتدي بهم في الصالحات في ميزان حسناته إلى يوم القيامة.

وذلك من فضل الله تعالى على يونس وعلى الأنبياء عليهم السلام، والله ذو الفضل العظيم.

ثانياً: أنه لم يُذكر في القرآن الكريم صراحة سلب الرسالة منه - عليه السلام - ثم إعادتها إليه، ولو حصل هذا لذكره الله تعالى من باب بيان المنة عليه كما ذكر امتنانه عليه بقبول التوبة، وهي أقل منة من إعادة الإرسال، وما كان الله تعالى ليدع ذكر الأعلى فضلاً، ويذكر الأقل منه فضلاً.

ثالثاً: أن المراد بالإرسال الوارد أولاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٤)</sup> هو إرسال الاصطفاء، كبقية الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وأن المراد بالإرسال المذكور ثانياً في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ

(١) سورة الصافات الآية ١٣٩ - ١٤٧.

(٢) يراجع: الكشف والبيان للتعلي: (٦ / ٣٠٤)، والنكت والعيون للمواردي (٥ / ٦٩)، ومعالم التنزيل للبيغوي (٤ / ٤٨)، وغيرها من كتب التفسير بالمأثور.

(٣) من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤٢)</sup> [آل عمران ٤٢] حيث ذكر اصطفاها مرتين في الآية، وقال المفسرون في المقصود بالاصطفاء الأول أموراً غير ما قبل في الثاني ومن ذلك ما ذكره الراغب الأصفهاني في المفردات (١ / ٥٥٢، ٥٥١). حيث قال: "تكرير الاصطفاء قيل لمعنيين: الأول فَرَّغَهَا لعبادته وأغناها عن الكسب، والثاني أن جعلها أمماً لعيسى وآية له، وقيل الأول الاصطفاء الذي هو الاجتباء. والثاني الاصطفاء الذي هو على سبيل الهداية".

(٤) سورة الصافات الآية ١٣٩.



زَيْدُورٌ ﴿١﴾: هو إرسال الاجتباء، وأنه كان بعد توبته من الذنب الذي وقع منه عليه السلام، والدليل على ذلك:

أن الاجتباء أعلى منزلة من الاصطفاء ولهذا يأتي بعده، قال النووي في قول الله تعالى في أبي الأنبياء آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى ﴿١٣١﴾ ثُمَّ اجْبَنَهُ رَبُّهُ، فَثَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٣٢﴾﴾: ﴿١﴾: "لما تاب نال الاجتباء. اجتبهه الله، فصار في منزلة أعلى من قبل أن يعصي ربه، لأن المعصية أحدثت له خجلاً وحياء من الله، وإنابة إليه، ورجوعاً إليه، فصارت حاله أعلى حالاً من قبل" (٢).

وقال أهل المعاني في بيان منزلة الاجتباء وأنه أعلى مرتبة من الاصطفاء: "والاصطفاء: تناول صفو الشيء، والاختيار: تناول خيره، والاجتباء: تناول جبايته، أي: جملته وجميعه" (٣).

قالوا: "والاجتباء للأنبياء ومن يليهم من الأولياء وهو: إيثار الله تعالى بعض عباده بفيض إلهي وتأيتهم الحكمة بلا سعي منهم، وعلى هذا قوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ﴾ (٤)، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ رَسَلَهُ مِنْ نِسَائِهِ﴾ (٥)، (٦)، (٧).

فالتعبير بالإرسال في حق يونس -عليه السلام- أولاً يعني الاصطفاء، والتعبير به ثانيًا يعني الاجتباء، ولا يعني أن الله تعالى سلب منه الرسالة أولاً ثم أرجعها إليه لما تاب.

رابعاً: أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى سلب النبوة من يونس لما وقع منه الذنب، وإنما ورد ما يدل على أنه عليه السلام ظل نبيا حتى تاب واجتبهه ربه؛ يقول صلى الله عليه وسلم: (لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى - نَسَبُهُ إِلَى أَبِيهِ - أَصَابَ ذَنْبًا، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ) (٨)، حيث دل قوله صلى الله عليه وسلم: (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ): على أن الذنب وقع منه -عليه السلام- وهو نبي، وأن اجتباء الله تعالى له -عليه السلام- كان بعد توبته من هذا الذنب، يؤيد هذا عطف الاجتباء على وقوع الذنب منه بحرف العطف (ثم) الذي يفيد الترتيب والتراخي.

خامساً: أنه لا أدل على نقصان القدر من سلب النبوة، فمن قال بما فقد وقع فيما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى) وقد قرر شراح السنة أن نبينا صلى الله عليه وسلم قد بالغ في مدحه والثناء عليه زجراً عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة يونس صلى الله

(١) سورة الصافات الآية ١٤٧.

(٢) سورة طه الآيتان ١٢١ - ١٢٢.

(٣) يراجع: شرح رياض الصالحين (٢/ ١٣٤).

(٤) يراجع: المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٨٨)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ١٧٨).

(٥) سورة يوسف الآية ٦

(٦) سورة آل عمران الآية ١٧٦

(٧) يراجع: الدررعة الى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (ص: ١٦٤)

(٨) الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: (لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى - نَسَبُهُ إِلَى أَبِيهِ - أَصَابَ ذَنْبًا، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٠٣)، ح (٣٢٥٢)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.



عليه وسلم، لما يُخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له فبالغ صلى الله عليه وسلم في ذكر فضله لسد هذه الذريعة. قالوا: وما جرى ليونس صلى الله عليه وسلم لم يحطَّه من النبوة مثقال ذرة<sup>(١)</sup>.  
سادساً: أنه لم يثبت أن الله تعالى سلب من أحد من الأنبياء والمرسلين النبوة بصغيرة ارتكبتها، وغني عن البيان أنه لم تقع منهم -عليهم السلام- كبائر أبداً، فهل يسلبها من يونس عليه السلام بصغيرة؟ ولو كانت النبوة تنزع بالصغائر لكان نزعها من نبي الله موسى -عليه السلام- وهو من أولي العزم أولى من نزعها من يونس -عليه السلام-؛ لأن غضبه من عبادة قومه العجل في غيابه تسبب في إلقاء الألواح التي نزلت من السماء فيها التوراة؛ ولما سكت عنه الغضب أخذها فلم يعاتبه الله على ذلك ولا ريب أن إلقاء كتاب مقدس على الأرض بالخطأ يستوجب الاستغفار، ومع هذا لم تسلب منه عليه السلام النبوة.

**الوجه الثامن:** أن ما روي من أن السفينة اضطربت بسبب وجوده بينهم، وأهم عرفوا أن عليها عبد آبق من سيده، وأنه هو هذا العبد الآبق، ولذا وقعت القرعة عليه أكثر من مرة، فألقى نفسه أو أقوه في الماء، وما روي أيضاً من أنه كان معه امرأته وابناه، إلى آخر ما روي، فهذه أكاذيب منافية للقرآن تمام المنافاة لعدة أمور، منها:

أولاً: أنه لم يكن الوحيد الذي اقترح، بل كان هناك من اقترح معه بدلالة قوله تعالى ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أي: من المغلوبين في القرعة<sup>(٣)</sup> إلا أن النجاة بحفظه في بطن الحوت كتبت له وحده فلم يكن معه أحد في بطنه لاقتصار اللتقام عليه وحده في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَاهُ الْحُوتُ﴾<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: أن في اعترافه في السفينة بأنه العبد الآبق من سيده -يقصد من ربه- تعارض مع أحداث قصته في القرآن، لأنه إلى وقت التقام الحوت له لم يكن يعلم أنه أتى من الفعل ما يلام عليه لقوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾<sup>(٥)</sup>، أي: فظن أن لن نضيق عليه، فهو إلى حين رميه في البحر كان يظن باجتهاده أن ما فعله ليس فيه عليه ملامة، ولو علم لاستغفر من حينها وهو على ظهر السفينة، كما هو دأب الأنبياء حين يشعرون بالتقصير في جنب الله ولو لم يقصروا، كما أن قوله تعالى: ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٦)</sup> فاستجبنا له، وبجئناه من العر، وكذلك نوحى للمؤمنين<sup>(٧)</sup> يدل على أن تفضنه لما وقع منه إنما كان في بطن الحوت؛ وقد كان استغفاره وقبول توبته في بطنه أيضاً.

### والخلاصة:

أولاً: أن هذه الروايات الإسرائيلية التي ذكرها كثير من المفسرين في تفسير آيات قصة نبي الله يونس -عليه السلام- روايات غير مقبولة؛ لأنها بغير إسناد، وباطلة لأنها تتعارض مع القرآن والسنة، إذ تؤدي إلى الكفر في

(١) يراجع: شرح النووي على مسلم (١٥ / ١٣٣)، وفتح الباري لابن حجر (٦ / ٤٥٢).

(٢) سورة الصافات الآية ١٤١

(٣) يراجع: معالم التنزيل (٤ / ٤٧)، وذكرت بتفاصيل أكثر في: المحرر الوجيز (٤ / ٤٨٥)، تفسير القرطبي (١٥ / ١٢٥) الكشف والبيان (٦ / ٣٠١)، والكشاف للزمخشري (٤ / ٦١) وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٥٥٢)، وغرائب القرآن وغرائب الفرقان للنيسابوري (٥ / ٤٥، ٤٦) وغيرها.

(٤) سورة الصافات الآية ١٤٢.

(٥) سورة الأنبياء الآية ٨٧.

(٦) سورة الأنبياء الآية ٨٧، ٨٨.



كثير من الأحيان؛ لطعتها في مقام النبوة طعنا صريحا، فهي خطيرة على من ذكرها من غير بيان لبطلانها، وخطيرة على عقيدة من قرأها وصدقها ولم ينكرها قلبه؛ لأن تصديقها يستوجب الطعن في نبي من أنبياء الله تعالى، ونسبة الكفر أو الكبائر إليه؛ ولهذا لا يجوز أن تذكر إلا على سبيل التحذير منها، وبيان زيفها وبطلانها. ثانياً: أن ما روي منها مما يوافق القرآن الكريم قليل جدا، ولا حاجة لنا إليها مطلقا، لأنه لولا القرآن الكريم ما علمنا صحتها، ولذلك لا ينبغي ذكرها؛ اكتفاء بما ورد في القرآن الكريم مجملا، ومن أصدق من الله قيلا، ولسنا مكلفين بالبحث عما أجمه الله عز وجل أو أجمله.

وذلك نحو ما روي من أن قومه لما رأوا مخايل العذاب تضرعوا إلى الله وآمنوا جميعاً فرفعه الله عنهم<sup>(١)</sup>، حيث إن

مضمونه موافق لما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيْبَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا اِيْمَانُهَا اِلَّا قَوْمٌ يُوْسُسُ لَمَّا ءَامَنُوْا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنٰهُمْ اِلَىٰ حِيْنٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومع هذا لا حاجة بنا إلى ذكره في التفسير؛ لأنه مخلوط بباطل، ونحن نكتفي بما ورد في القرآن الكريم والسنة المقبولة؛ إذ لا لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*\*

### المطلب الثالث

#### القول الراجح في ماهية الذنب المنسوب إلى يونس عليه السلام

بعد بيان ما تقدم وتفنيذ الروايات الإسرائيلية الواردة في شأن ذنب يونس عليه السلام بقي أن نبين القول الراجح في ماهية هذا الذنب الذي صدر منه عليه السلام، والذي صرح بنسبته إليه نبينا صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: (لا ينبغي لأحد أن يقول: إني خير من يونس بن مئى - نسبة إلى أبيه - أصاب ذنبا، ثم اجتباؤه ربه)<sup>(٤)</sup>.

وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: المحققون من العلماء على أن الأنبياء غير معصومين من الصغائر التي ليس فيها شين ونقص؛ وأنها إن وقعت منهم فهي واقعة منهم على جهة الخطأ من غير تعمد، أو على جهة النسيان أو على جهة الاجتهاد في العادات من الأمور لا في التشريعات، ووقوعها منهم لا تنقص من قدرهم، ولا تحط من شأنهم، بل تزيد في أجرامهم<sup>(٥)</sup>. يقول ابن تيمية: "... وهم بما أخبر الله به عنهم من التوبة يرفع درجاتهم ويعظم حسناتهم؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وليست التوبة نقصا، بل هي من أفضل الكمالات، وهي واجبة على جميع الخلق"<sup>(٦)</sup>، بل إن من وراء صدورها منهم عدة حكم منها:

- (١) سورة الأنبياء الآية ٨٧، ٨٨
- (٢) يراجع: جامع البيان (١٥/ ٢٠٨ - ٢١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٨، ١٩٩٠)، والكشف والبيان للتعلي (٥/ ١٥١، ١٥٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٣٥١، ٣٥٢).
- (٣) قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ص ١٣٧ وما بعدها.
- (٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٠٣)، ح (٣٢٥٢)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وقد ورد هذا الحديث بعدة صيغ وهذا أقربها لموضوع البحث.
- (٥) يراجع: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٠٩)، إرشاد الفحول للشوكاني (١/ ٩٨ - ١٠٢).
- (٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ٥١).



الحكمة الأولى: إثبات أن الكمال المطلق لله وحده، ولا يشاركه فيه أحد من خلقه، وأما البشر فكما لهم كمال نسبي.

الحكمة الثانية: أن الأنبياء مكلفون بتبليغ الشرع فلا بد من وقوع مثل هذه الصغائر منهم، ليلبغوا شريعة الاستغفار قولاً وعملاً.

الحكمة الثالثة: أن فيها إثبات لحكمة الله من استخلاف بني آدم في الأرض، مع ما ركب فيهم من الميل والهوى وطباع النقص، فقد سبق في علمه أن من البشر من هم قادرون على تزكية أنفسهم بالإيمان إلى حد مقاربة الكمال باختيار منهم -لا بجيلة كالملائكة-، حتى وإن كانوا مخلوقين على النقص.

الحكمة الرابعة: أن في جعلهم يخطؤون إثبات لبشريتهم، حتى لا يحتج أحد بأن اتباع الشرع كاملاً غير ممكن إلا لمعصوم من الخطأ كبيره وصغيره.

الحكمة الخامسة: أن في تصويب اجتهادهم في العادات فائدة من حيث إن فيه دليلاً على صدق نبوتهم، إذ لو لم يكونوا أنبياء لم يبلغوا ما عوتبوا عليه ولكتموه.

نقول عائشة رضي الله عنها: (ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم كأنما شيئاً مما أنزل عليه لكتمت هذه الآية:

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾<sup>(١)</sup>،<sup>(٢)</sup>.

وقد نزلت هذه الآية في شأن قول النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ

اللَّهَ﴾<sup>(٣)</sup>، خشية أن يقول المنافقون: (أمره أن يطلق زوجته ثم تزوجها)، ومع أن الإصلاح بين الأزواج من حسنات الأبرار إلا أنه في قصة زيد هذه من سيئات المقربين لمجانبة الصواب؛ إذ لا فائدة من الأمر به، لعلم النبي صلى الله عليه وسلم علماً يقينياً بما سيؤول إليه حال زيد مع زوجته وأنه سيطلقها، فلماذا يقول له أمسكها، ولماذا يخشى قالة الناس وعيبيهم عليه، والكلام في شأن زواجه من زوجة دعيه زيد بن حارثة. واقع لا محالة من المؤمن، ومن المنافق كل بما في قلبه؟.

ثانياً: أن يونس -عليه السلام- صدر منه ما يلام عليه، وقد دل القرآن الكريم على ذلك؛ حيث قال تعالى:

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، ولعله هو الذنب الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (أَصَابَ

ذُنُوبًا، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ)<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى}: ١/ ١٦، ح(١٧٧).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٤٢.

(٥) تقدم ترجمته قريباً.

وفي تعيين اللائم ههنا خلاف بين العلماء:

حيث ذهب جمهور المفسرين إلى أن اللائم هو الله سبحانه وتعالى، لام يونس على هروبه من قومه<sup>(١)</sup>، واعتبروها صغيرة من الصغائر<sup>(٢)</sup>!!!، وحينها يكون لفظ: ﴿مُلِيمٌ﴾ اسم مفعول من الفعل (أَلَمَ)، يقال: أَلَمَ الرجلُ فهو مُلِيمٌ، إذا فعل ما يُلامُ عليه<sup>(٣)</sup>.

وقال آخرون من أمثال ابن هشام وغيره من أهل اللغة إن لفظ: ﴿مُلِيمٌ﴾ اسم فاعل واسم المفعول منه: مَلُومٌ<sup>(٤)</sup>، فيكون يونس عليه السلام هو الفاعل للوم، لام نفسه وقت التقام الحوت له على عادة الأنبياء في اتهامهم لأنفسهم بالتقصير خشية أن يكون ذلك البلاء وقع بسبب التقصير منهم أو من رعيته<sup>(٥)</sup>.

(١) يراجع على سبيل المثال: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٢٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٥٧)، وجامع البيان للطبري (٢١/ ١٠٧، ١٠٨)، والنكت والعيون للماوردي (٥/ ٦٧)، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٤/ ٧٠)، والتفسير البسيط للواحدي (١٩/ ١٠٦، ١٠٧)، والكشف والبيان (٨/ ١٧٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥٥٢) تفسير السمعي (٤/ ٤١٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤/ ٤٧)، والكشاف (٤/ ٦١)، والمحرم الوجيز لابن عطية (٤/ ٤٨٦)، والتفسير الكبير للرازي (٢٦/ ٣٥٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ١٢٣)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٥/ ١٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزيء (٢/ ١٩٧)، والدر المصون للسمين الحلبي (٩/ ٣٣٠، ٣٣١)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٧/ ٢٠٥)، والجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (٥/ ٤٧)، والسراج المنير للخطيب الشربيني (٣/ ٣٩٣)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٧١) وغيرها من كتب التفسير.

(٢) تفسير القرطبي (١١/ ٣٢٩).

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٩/ ٦١٤٨، مادة (لوم).

(٤) شرح كتاب الفصيح لابن هشام (ص: ٢٢٩)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/ ٥٦٠، مادة (لوم).

(٥) شواهد ذلك من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة في السنة، ومن ذلك ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم في الاستعاذة من سيء الأقدار بالرغم من عدم تقصيره: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَمِنْ تَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَمِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِكَ» أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (١/ ٧١٣) من رواية ابن عمر رضي الله عنهما وقال: "هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

وكان صلى الله عليه وسلم يتوب من غير ذنب ويحض أصحابه على التوبة، وكان يقول: (إِنَّهُ لِيُعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) أخرجه مسلم: كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استسباب الاستغفار والاستكثار منه: ٤/ ٢٠٧٥، ح(٢٧٠٢).

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر الله ويتوب إليه من غير ذنب أذنبه في كل يوم أكثر من مئة مره، ويقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَنُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ) أخرجه: أحمد في مسنده: (٣٠/ ٢٢٦)، ح(١٨٢٩٤). وقال محققه: حديث صحيح.

وخوف الأنبياء من التقصير كان يصاحبهم حتى عند تقديم القرابات فكانوا يستغفرون بعدها، ومن ذلك استغفار إبراهيم عليه السلام بعد الفراغ من رفع قواعد الكعبة المشرفة ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَرَبِّ دَرِينَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٨) [سورة البقرة: ١٢٧، ١٢٨].



قلت: هذا القول يتفق مع مذهب من يرى أن الأنبياء لا يذنبون أبداً<sup>(١)</sup>، ويحاج عن ذلك بأنه كان بالإمكان الصيرورة لذلك لو أنه لم يوجد في قصته في القرآن ألفاظ أخرى تذلل على لوم الله له، ونحي النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه به في الحال التي أذنب فيها، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأرى -والله أعلم- أن الأولى في لفظ: ﴿مُلِيمٌ﴾ أنه اسم مفعول من الفعل (أَلَمَ)، أن اللائم ليونس هو الله تعالى، لما تقدم، ولوجود نظير له في القرآن، وهو قوله تعالى في حق فرعون لما أغرقه الله هو وجنوده: ﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْتَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ولا يمكن أن يكون فرعون في هذه الآية هو الذي لام نفسه بالتوبة الصادقة، وإلا لقبل الله تعالى منه قوله حين أدركه الغرق، لكن توبته كانت بلسانه حين قال: ﴿ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، ولذلك قال الله في الآية التي تليها: ﴿ءَاَلَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ثالثاً: نقطع بأن ما فعله يونس -عليه السلام- كان مما غلب على ظنه أنه غير مؤاخذ عليه، وقد قام الدليل على ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٦)</sup>؛ إذ فيه ما يدل على أنه غلب على ظنه أن فعله الذي فعل لا يؤاخذ عليه، فوقع في التقدير الخاطيء، وصار الحال على خلاف ما قدر لغلبة الغضب عليه، ولذا جاء التعبير عن فعلته مرة بقوله تعالى: (ذهب) ومرة بقوله: (أبق)؛ فالأولى جاءت على ظنه عليه السلام بذلك وليس تساهلاً منه، والثانية جاءت على حقيقة حال ما فعل.

(١) حجة هؤلاء أننا مأمورون باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمراً مطلقاً من غير التزام قرينة، ولو جوز عليهم وقوع الصغائر منهم لما صار الاقتداء بهم ممكناً؛ لأنهم قد يفعلون على هذا أمراً هو من الصغائر ونظن نحن أنه قريبة، ثم إنه لا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله يكون معصية. ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٠٩)، وإرشاد الفحول للشوكاني (١/ ٩٨ - ١٠٢).

ويجاء عنه: بأنهم لا يقرون عليها حتى يقال مثل هذا ثم "إن الله تعالى قد أخرج بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها، وأخبروا هم بما عن أنفسهم وتصلوا منها وأشفقوا منها وتابوا، وقد ورد ذلك في مواضع كثيرة لا تقبل في جملتها التأويل، وكونها واقعة منهم فلا يعني أنها أخلت بمناصبتهم، أو أنها حطت من رتبتهم. يراجع: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥ / ٥١)، الاستقامة لابن تيمية (١/ ٤٠١).

يمكن أن يقال أيضاً في الرد عليهم: إن الله تعالى اجتباهم وهو يعلم بعلمه الأزلي ما سيقع منهم، ولو كانت الصغائر قاذحة في الاختيار لما اختارهم وهو تعالى يعلم أنها ستقع منهم، لأنه حينها يكون في اختياره تعالى ما لا يصلح مع علمه بذلك وهو عبث، والعبث محال على الله تعالى.

(٢) سورة القلم، الآية (٤٨).

(٣) سورة الذاريات، الآية (٤٠).

(٤) سورة يونس، الآية (٩٠).

(٥) سورة يونس، الآية (٩١).

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.



رابعاً: أرجح أن ما صدر من يونس -عليه السلام- من ذنب إنما هو ذهابه متوارياً مستخفياً مستتراً، طانا أن الله تعالى لا يؤاخذ على هذا التواري والاستخفاء والاستتار؛ وذلك لدلالة لفظ (أبى) في اللغة على ذلك. قال في اللسان: "قال ابن سيده: أَبَى يَأْبَى وَيَأْبَى أَبْقاً وَأَبْقاً، فَهُوَ أَبَى، وَجَمَعَهُ أَبَقٌ. وَأَبَى وَأَبَى: اسْتَخْفَى ثُمَّ ذَهَبَ؛ وَتَأْبَى: اسْتَتَرَ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: وَالتَّأْبَى: التَّوَارَى"<sup>(١)</sup>.

وكان الأولى به - عليه السلام- أن يذهب إلى ما يريد الذهاب إليه غير مستخف أو متوار أو مستتر، ولأجل هذا سمي ذهابه هذا إباقاً. كما كان الأولى بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ألا يستحيي من الناس حين أمره الله تعالى بالزواج من زينب بنت جحش رضي الله عنها، بعد أن طلقها دعياً زيد بن حارثة رضي الله عنه؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وبناء على ذلك:

وحيث إنه لا يوجد دليل من القرآن أو السنة على ما تستر واستخفى منه يونس -عليه السلام- حال ذهابه، وأن كل ما روي في ذلك إنما هو من روايات بني إسرائيل الباطلة؛ فهو إذن من المبهمات، ولم نكلف بالبحث عن المبهمات. ولعل الحكمة في إبهام ذلك: الستر عليه، أو انتفاء الفائدة من العلم به.

وهناك من العلماء من اختار هذا القول في ماهية ذنبه -عليه السلام-، كالشيخ السعدي -رحمه الله-، فقد جنح إلى السلامة فقال: "ذنب من الذنوب، التي لم يذكرها الله لنا في كتابه، ولا حاجة لنا إلى تعيينها..."<sup>(٣)</sup>. وأما ما ذكره كثير من المفسرين من أن معنى (أبى) هرب من سيده، استدلالاً بقول أهل اللغة: "أَبَى الْعَبْدُ يَأْبَى وَيَأْبَى إِبْقاً، أَي هَرَبَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَالْإِبْقَى: هَرَبَ الْعَبِيدِ وَذَهَابَهُمْ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا كَيْدٍ عَمَلٍ"<sup>(٤)</sup>. فإن هذا المعنى - كما ترى - خاص بالماليك العصاة الذين يتمردون على مالكيهم... ولا يجوز بحال أن يوصم به نبي من أنبياء الله تعالى.

تتمة: في توجيه ما ورد في القرآن والسنة مما يوهم صدور الكبيرة منه عليه السلام:

وما ورد في القرآن والسنة مما يوهم ظاهره صدور الكبيرة منه -عليه السلام- فإن له توجيهات صحيحة تنزه ساحته مما لا يليق بالأنبياء والمرسلين، وقد ورد ذلك في آية وحديث.

(أ) أما الآية:

فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَنَكَدَيْ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

﴿[الأنبياء: ٨٧]؛ وهو محمول على وجهين صحيحين:

الأول: أنه -عليه السلام- قال ذلك على سبيل التواضع لله تعالى في التضرع والدعاء، وقد سبقه بذلك إبراهيم -عليه السلام-؛ حيث كان يدعو ربه قائلاً: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(٥)</sup> [الشعراء: ٨٢].

(١) لسان العرب: (١٠ / ٣، ٤)، ويراجع: الصحاح للجوهري (٤ / ١٤٤٥)، مقاييس اللغة لابن فارس (١ / ٣٨) مادة (أبى).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٣) تفسير الشيخ السعدي: (٥٢٩).

(٤) الصحاح للجوهري (٤ / ١٤٤٥)، ومقاييس اللغة لابن فارس (١ / ٣٨)، ولسان العرب: (١٠ / ٣)، مادة (أبى).



والثاني: أن ذلك اعتذار منه -عليه السلام- عن ظلمه لنفسه، بسبب مبالغته في الحرص على إيمان قومه بتحمل ما لم يكلفه الله تعالى به.

(ب) وأما الحديث:

فهو قوله صلى الله عليه وسلم: (لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي حَزَبٌ مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى - نَسَبُهُ إِلَى أَبِيهِ -، أَصَابَ ذَنْبًا، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ)<sup>(١)</sup>.

والذنب المذكور فيه محمول على مخالفته -عليه السلام- الأولى في أمر دعوة قومه؛ لأدلة كثيرة منها:

- ١- أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يفسر هذا الذنب، وكل ما روي في شأن هذا الذنب إنما هو من أكاذيب بني إسرائيل، وقد تبين بطلان ذلك كله.
- ٢- أن الله تعالى أثنى على نبيه يونس -عليه السلام- ومدحه في أكثر تضاعيف قصته، ولم يعنفه مرة، أو يعاتبه، أو يوجه له لومًا.
- ٣- أن هذه العبارة (أَصَابَ ذَنْبًا) لم ترد إلا في مسند الإمام أحمد، وهي واردة في سياق ثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليه، وبيان فضله ومنزلته عليه السلام؛ ولهذا وردت الروايات الأخرى في الصحيحين وغيرها في الثناء عليه فقط دون ذكر هذه العبارة.
- وقد قرر شراح السنة أن نبينا صلى الله عليه وسلم بالغ في مدحه والثناء عليه زجرا عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئا من حط مرتبته -عليه السلام-، وأن ما جرى له لم يحطه من النبوة مثقال ذرة.
- ٤- أن في قوله صلى الله عليه وسلم: (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ) ما يؤيد ذلك؛ لأن الله تعالى اصطفاه أولا، ثم اجتباها ثانيا بعد صبره على هذا الابتلاء العظيم. وهو سبحانه لا يصطفي ولا يجتبي لرسالته من يفر هاربا من تكاليفها. والله تعالى أعلم.

### المطلب الرابع

#### الحكمة في ابتلاء يونس عليه السلام بهذا الابتلاء العظيم

تبيين مما سبق:

- ١- بطلان ما ذكره كثير من المفسرين في تفسيرهم لآيات قصة يونس -عليه السلام-؛ بناء على تلك الروايات الإسرائيلية، وأنه لا يجوز بحال أن ينسب ذلك إلى نبي من أنبياء الله تعالى.
- ٢- أن ما تستر واستخفى منه يونس -عليه السلام- حال ذهابه، إنما هو من المبهمات، ولا يوجد دليل من القرآن أو السنة على تعيينه أو تحديده، ولم تكلف بالبحث عن المبهمات. ولعل الحكمة في إبهامه: الستر عليه، أو انتفاء الفائدة من العلم به.
- ٣- أن ما ورد نسبته إليه -عليه السلام- من ذنب في حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يعدو أن يكون صغيرة من الصغائر، لأنه لا يجوز بحال أن يكون كبيرة؛ لأن الأمة مجمعة على عصمة الأنبياء من الكبائر قبل البعثة وبعدها.
- وهنا تساؤل حتمي يظل عالقا في الذهن ويحتاج إلى جواب، وهو: كيف نجمع بين كونه -عليه السلام- لم يفعل كبيرة من الكبائر وبين ما حصل له في البحر من أهوال؟! لأنه قد يظن ظان أن هذه الشدائد التي وقعت له

(١) سبق تحريجه.



دليل على عظم جرمه وكبر ذنبه، وهو ما حكته الروايات الإسرائيلية، وتلطخت به، وتلبس بذكرها كثير من المفسرين.

والسبب في إثارة هذا التساؤل ما يأتي:

أولاً: أن الله تعالى هو العدل، ومن مقتضيات عدله تعالى في تقدير العقوبة أنها تكون على قدر الفعل، قال الله تعالى: ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ (٧)، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣)، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

ثانياً: أنه لا يختلف اثنان في أن ما حصل له في البحر (من التقام الحوت له، وبقائه حيا في تلك الظلمات، ظلمات بطن الحوت وظلمات البحر) إنما هو ابتلاء في غاية الشدة، ومحنة في غاية العظم، ولا يمكن في حسابات البشر أن ينجو منها أحد أبداً، حتى إنه بعد ما نجاه الله تعالى كانت آثار المرض والمعاناة ظاهرة في نفسه وجسده؛ قال الله تعالى: ﴿فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (٤)، ونلاحظ في التعبير بلفظ (سقيم) دون لفظ: (مريض) الدلالة على بلوغه غاية النصب والمرض.

وقد ربط بنوا إسرائيل بين هذين السببين؛ فافتروا على الله الكذب، ونسبوا إلى يونس -عليه السلام- ما هو منه براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وذكر ذلك عنهم كثير من المفسرين دون تمحيص أو تحقيق. وللإجابة عن هذا التساؤل أقول:

لعل الحكمة -والله أعلم- في ابتلائه عليه السلام بتلك الأهوال العظام؛ ما يأتي:

أولاً: أن يرفع الله تعالى قدره ومنزلته عنده سبحانه؛ لقاء صبره على هذا الابتلاء العظيم، الذي يفوق صبره على أذى قومه وتكذيبهم لو كان مقيماً فيهم.

والمعلوم من الدين بالضرورة أن الأنبياء أشد الناس بلاء، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلِأَمْثَلٍ، فَيُتَّبَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ ضَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ انْتَلَى عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرُحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّىٰ يَبْرُكَهُ بِمِثْلِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ حَطِيئَةٌ) (٥).

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أمثلة عديدة على الابتلاءات التي حدثت للأنبياء والمرسلين، ولم يكن ذلك لغضب الله عليهم عقاباً لهم على ما فعلوه، وإنما كان لرفع منزلتهم عنده تعالى.

(١) سورة الكهف الآية ٤٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٧.

(٣) سورة غافر، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الصافات الآية ١٤٥.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: في أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ٤/٦٠١، ح (٢٣٩٨) وصححه الألباني في

السلسلة الصحيحة (١٤٣).



قال ابن القيم: "وإذا تأملت حكمة الله سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته من خلقه، وما ساقهم به إلى أجلّ الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان... علمت أن ذلك الابتلاء والامتحان عين الكرامة في حقهم، فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنة عظيمة تُجنى من قطوف الابتلاء والامتحان...".

وتأمل حال كل الأنبياء... آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونبينا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، وما آلت إليه منحهم من الاصطفاء والاجتباء ورفع المنزلة...<sup>(١)</sup>. ولهذا قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فابتلاء نبي الله يونس- عليه السلام- بذلك الابتلاء العظيم إنما كان من هذا القبيل؛ محنة في باطنها منحة، وابتلاء في باطنه رفعة وتعظيم؛ ولهذا قال الله تعالى في بيان ما آل إليه أمره -عليه السلام- بعد هذا الابتلاء: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. والمعنى: فهياًه الله تعالى ورباه على عينه بما قدره عليه من تلك الحوادث الكبار والشدائد العظام؛ ليكون من المجتبيين الذين هم صفوة المصطفين. ثانياً: أن تقتدي به أمته، -والصالحون من كل الأمم من بعده- حين يروا كمال صبره على شدة الابتلاء، وتما رضاه بما قدره الله وقضاه، فيكون ذلك في ميزان حسناته ممدوداً إلى يوم الدين.

#### الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم النبوات نبينا محمد ابن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد انتهت بحمد الله تعالى وتوفيقه من كتابة هذا البحث (التحقيق والبيان في الذنب المنسوب إلى يونس عليه السلام، دراسة تفسيرية نقدية)، وفي نهايته أذكر ما توصلت إليه من نتائج، وما أقرحه من توصيات.

أما النتائج: فتنظيم في الآتي:

أولاً: أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء والمرسلين من الكفر، ومن الكبائر، ومن كل ما فيه عيب شين ونقص، وريبة مما يخالف المروءة والطبع الكريم عمداً وسهواً، وعلى عصمتهم في كل ما يتعلق بتبليغ رسالات الله تعالى، عمداً وسهواً.

أما في جواز وقوع الخطأ منهم فيما لا علاقة له بالتبليغ مما يعود إلى الطبع البشري فأباه جماعة وجوزوه آخرون أنهم قالوا لا يقرون عليها، لأنهم قدوة لغيرهم.

وقد اختار البحث القول بجواز وقوع الخطأ من الأنبياء فيما لا علاقة له بالتبليغ مما يعود إلى الطبع البشري، وأنهم يخطؤون في مثل هذا، لكن دون تعمد المعصية، ويكون سببه ما يعترضهم من النسيان، والخطأ في الاجتهاد، أو تعجل الخير مما يعترى غيرهم من البشر، غير أن خطأهم معدود عليهم سيئة ولو كان كمقدار الهفوة، والخطرة، التي تحسب في حق غيرهم حسنة إذا لم يقترفوا غيرها، وهذه المحاسبة سببها ما هم فيه من مقام النبوة.

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/٢٩٩-٣٠١).

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٣.

(٣) سورة الصافات الآية ١٤٥.



ثانيًا: بين البحث أن الحكمة من عدم عصمة الأنبياء مما يعتري البشر من الهفوات والخطرات ومن النسيان ونحوه مما لا علاقة له بالتبليغ مما يعود إلى الطبع البشري، هي: إثبات أن الكمال المطلق لله وحده، ولا يشاركه فيه أحد من خلقه، وأما البشر فكما لهم كمال نسبي، وأن الأنبياء مكلفون بتبليغ الشرع فلا بد من وقوع مثل هذه الصغائر منهم، ليلغوا شريعة الاستغفار قولاً وعملاً، وأن في جعلهم يخطؤون إثبات لبشريتهم، حتى لا يحتج أحد بأن اتباع الشرع كاملاً غير ممكن إلا لمصوم من الخطأ كبيره وصغيره، وأن في تصويب اجتهادهم في الأمور العادية من حيث إن فيه دليلاً على صدق نبوتهم، إذ لو لم يكونوا أنبياء لم يبلغوا ما عوتبوا عليه ولكتموه.

ثالثًا: قصة نبي الله يونس -عليه السلام- واحدة من قصص القرآن الكريم التي وردت فيه موجزة، ونقل فيها أكثر المفسرين أقوالاً باطلة؛ إما اعتماداً على روايات من أسلموا من بني إسرائيل، أو على المفهوم من تلك الروايات، دون أن يبينه أكثرهم على زيفها وبطلانها؛ مع مخالفتها الصريحة للقرآن الكريم والسنة النبوية، وقدحها في عصمة نبي الله يونس عليه السلام وكانوا في ذلك على ثلاثة طوائف:

الطائفة الأولى - وهم الجمهور - ذكروها على علاقتها ولم ينهوا على ما فيها من خطر القدح في عصمته عليه السلام، وتأثروا بها عند تفسير الآيات، حتى جاءوا بالأعاجيب، وذكروا عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهم أقوالاً بلا إسناد مما لا يصح نسبته إلى ما لا علم له بأصول الدين، فكيف تنسب إلى من هو ترجمان القرآن كابن عباس، ويصدق بأنه قالها.

الطائفة الثانية: ذكروها لكنهم لم يميزوها، ولم ينكروها بالكلية، وحاولوا تحويلها عن وجهها لتوافق عصمة الأنبياء، وهم وإن كانوا أحسن حالاً ممن قبلهم إلا أنهم وقعوا فيما كانوا منه على حذر، فقالوا خرج بغير إذن ربه وعدوه ذنباً صغيراً، لكنهم حاروا في تأويل ما حصل له من شدائد؛ فجأؤوا بما يثبت عكس قولهم، لاعتبارهم تلك الشدائد عقوبة له، وهم في حالهم هذه كلها قائلون بالظن، ولا دليل في نص صحيح صريح يثبت صحة ما ذهبوا إليه، غير أن مذهبهم هذا رائج أخذ به جمع كبير من المفسرين قديماً حديثاً وهو رائج عند العامة أيضاً.

الطائفة الثالثة: هم من اختاروا السلامة من المفسرين، فلم يخوضوا في مثل ما خاض فيه غيرهم من محاولة معرفة ماهية ذلك الذنب، واعتبروه من المبهمات التي أخفاها الله تعالى، ومنهم الشيخ السعدي رحمه الله، وهو الرأي الذي اخترته.

رابعًا: أن ما وقع لنبي الله يونس -عليه السلام- لم يكن عقاباً له، وأنه لم يخرج عن دائرة الابتلاء؛ مثله في ذلك مثل كثير من الأنبياء والمرسلين؛ وقد دل القرآن الكريم على أنه -عليه السلام- قد ابتلي بابتلاءين عظيمين: أولهما: ابتلاء عام، أصاب سائر الأنبياء والمرسلين، وهو تكذيب قومه له. والثاني: ابتلاء خاص به، وهو التقام الحوت إياه.

خامسًا: أن التقام الحوت له -عليه السلام- لم يكن عقاباً له على ما نسبوه إليه من الفرار والهروب، والتخلي عن الرسالة التي كلفه الله تعالى بها. وحاشاه عليه السلام من ذلك!!.



**سادساً:** مما يعضد براءة نبي الله يونس - عليه السلام - من كل ما نُسب إليه: عناية الله تعالى به في كل مرحلة من مراحل قصته، وثناؤه عز وجل عليه من أول القصة إلى منتهاها، ولو كان مرتكباً كبيرة، مستحقاً للعقاب - كما جاء في الإسرائيليات - ما أثنى الله تعالى عليه ولا أحاطه بعنايته. لكننا نلمس في كل مواقف قصته المباركة عظيم ثناء الله تعالى عليه وعنايته به، ومن ذلك:

- أن الله تعالى أنعم عليه فيها له حوتا خاصا لالتقامه وإنجائه. وأنه تعالى استجاب نداءه عاجلا غير آجل. وأنه تعالى أثنى عليه بحسن عبادته قبل ذلك الحدث العظيم. وأنه تعالى نجاه من الغم. وأنه تعالى اجتباه وجعله من الصالحين. وأنه تعالى أثنى عليه بتدارك نعمته إياه. وأنه تعالى تولاه بعنايته ولطفه بعد خروجه من البحر. وأنه تعالى زاده فضلا فاجتباه للرسالة إلى قومه مرة أخرى. وأنه تعالى أنعم عليه بإيمان قومه أجمعين.

**والخلاصة:** أن الله تعالى لم يذكر في كتابه الكريم في أي موضع من مواضع قصة يونس - عليه السلام - أن ما حدث له كان عقابا، بل ذكر عنايته تعالى به وثناؤه عز وجل عليه في كل تضاعيف قصته عليه السلام.

**سابعاً:** ما ورد في القرآن والسنة مما يوهم ظاهره صدور الكبيرة عنه - عليه السلام - فإن له توجيهات صحيحة تنزه ساحته مما لا يليق بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

**وأما التوصيات:** فتتلخص في الآتي:

- 1- أوصي المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن بمواصلة البحث في دراسة قصص الأنبياء والمرسلين دراسة قرآنية، تنفي عنها ما علق بها من روايات باطلة، وتبين وجه الحق في تفسيرها.
  - 2- أوصي بمواصلة العمل وتكثيفه في قضية تنقية كتب التفسير كلها مما علق بها من روايات إسرائيلية، أضرت بالتفسير، وتركت آثارا سلبية في الناس.
- وصلى الله وسلم وبارك على إمام الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

### فهرس المصادر والمراجع:

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: للإمام أبي السعود، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون تاريخ.
- إرشاد الفحول للشوكاني، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- الاستقامة لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.
- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنتخبة من العلماء، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى - ١٤١٨هـ.



- البحر المحيط في التفسير: للإمام محمد بن يوسف، أبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي جميل، ط/ دار الفكر - بيروت - الأولى، ١٤٢٠هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن عجيبة، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر: الدكتور حسن عباس ركي - القاهرة، ١٤١٩هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمجد الدين الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار. ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- البنية شرح الهداية، لبدر الدين العيني، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.
- التاريخ الكبير للبخاري، ط/ دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان. التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم، ت: د ضاحي عبد الباقي محمد، ط/ دار الغرب الإسلامي - بيروت، الأولى - ١٤٢٣هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم ابن جزيء الكلبي تحقيق: د/ عبد الله الخالدي، ط/ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ.
- التفسير البسيط للإمام الواحدي، ط/ عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي تحقيق الشيخ علي معوض، وعادل عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الأولى، ٢٠٠٢م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن للإمام السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- التفسير الكبير: للإمام الرازي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة ١٤٢٠هـ.
- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: د. محمود محمد عبده، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
- تهذيب التهذيب لابن حجر الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ٢٠٠١م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.
- الثقات، لابن حبان، ط: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة: الأولى، ١٩٧٣م.



- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للإمام الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن: للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، ط/ دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد الثعالبي، ت: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى - ١٤١٨هـ.
- حاشية الطيبي على الكشاف (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب) للإمام الطيبي، ط/ جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمن الحلي، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط، ط/ دار القلم، دمشق.
- ديوان الضعفاء والمتروكين للإمام الذهبي، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، ط: مكتبة النهضة الحديثة - مكة، الطبعة: الثانية، ١٩٦٧م.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني، تحقيق: د: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ط/ دار النشر: دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للأوسى، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الأولى - ١٤٢٢هـ.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: للخطيب الشربيني، طبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، مكتبة المعارف.
- سنن الترمذي للإمام أبي عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، للإمام النووي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثانية، ١٣٩٢هـ.
- شرح كتاب الفصيح، لابن هشام اللخمي، تحقيق: د. مهدي عبيد جاسم، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م.
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، الناشر: دار الفيحاء - عمان، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧هـ.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميرى اليمني، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.



- صحيح البخاري: للإمام البخاري، تحقيق: د/ محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/ دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ.
- غرائب التفسير وعمائب التأويل للكرماني، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
- غرائب القرآن ورجائب الفرقان للنيسابوري، ت: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤١٦هـ.
- غريب القرآن لابن قتيبة، ت: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- الفتاوى الفقهية الكبرى، لابن تيمية، المكتبة الإسلامية، بدون تاريخ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير: للإمام الشوكاني، ط/ دار ابن كثير، بيروت، الأولى، ١٤١٤هـ.
- قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية، لحسين علي الحربي، ط/ دار القاسم بالرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للإمام الزمخشري، ط/ دار الكتاب العربي - بيروت، الثالثة - ١٤٠٧هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للتعلي، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل: للإمام الخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤١٥هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
- لسان العرب، للإمام محمد بن منظور الأفريقي المصري، ط/ دار صادر، بيروت، ط/١، بدون تاريخ.
- لطائف الإشارات للإمام القشيري، ت: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة، ت: محمد فواد سركين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للإمام ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط/ دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤٢٢هـ.



- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، لخالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٦م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل تحقيق: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد علي الفيومي، ط: المكتبة العلمية، بيروت.
- معالم التنزيل للبغوي تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط/ جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الأولى، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن وإعرابه: للإمام أبي إسحاق الزجاج تحقيق: د/ عبد الجليل عبده شليبي، ط/ عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة، بدون تاريخ.
- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) لأحمد رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٣٨٠هـ.
- معجم مقاييس اللغة: لابن فارس ت: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.
- المفردات في غريب القرآن: للإمام الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط/ دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٦٣م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ط/ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت والعيون: للإمام أبي الحسن الماوردي، ت: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لغلام ثعلب، تحقيق: محمد بن يعقوب التركستاني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م.